



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة العربية وآدابها



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: 085080223

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصّص: أدب حديث ومعاصر

أدب السّجون عند "أيمن العتوم" من خلال روايته:  
"يسمعون حسيّسها" و "يا صاحبي السّجن"

إشراف الأستاذ الدكتور:

بوراس سليمان

إعداد الطّالبة:

- عبدالدائم نوال

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرّتبة العلمية	الجامعة	الصّفة
عماري عزالدين	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
سليمان بوراس	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا
هدى بن حليس	أستاذ مساعد أ	جامعة المسيلة	مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1441هـ/1442هـ - 2020م/2021م

سورة التوبة

# شكر وعرفان

قال الله تعالى:

"ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصّالحين"

سورة النمل الآية: 19

وما توفّيقني إلّا بالله رب العالمين

أمّا بعد:

أحمد الله وأشكره وافر الشكر أن وفّقتي لإتمام هذا العمل المتواضع الذي أتمنّى أن يكون في المستوى، ثمّ أوجه آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور بوراس سليمان المشرف على هذه الرسالة الذي أشعل لي شموع النّجاح والعزيمة في دهاليز المرض والفشل فمنحني الكثير من وقته، وكان لرحابة صدره وسموّ خلقه وأسلوبه المميّز في متابعة المذكرة والتّحفيز أكبر الأثر في المساعدة على إتمام هذا العمل في أجله المحدّد، وأسأل الله العليّ القدير أن يجازيه خير الجزاء وأن يكتب صنيعه في موازين حسناته.

الأدب مرآة لكلّ زمان ومكان إذ أنّه مرجع غنيّ وصادق لمعرفة أحوال النّاس وشؤونهم في مرحلة زمنيّة معيّنة، فهو يستمدّ أهميّته من وصفه للواقع متجاوزاً إيّاه إلى التّعمّق والتّحليل، وهكذا فإنّ محتوى الأدب أبعد من مضمونه الأدبي المرتبط باللّغة والجمالية فقط فهو دعامة من الدّعائم التي تغني الحياة وتضيف لها خاصّة في العصر الحديث، لأنّ الوعي تبلور أكثر فزاد اهتمام القراء والمبدعين بالقضايا الرّاهنة.

لما كان الأدب سلطة كبيرة على القارئ وعلى المجتمع، حاولت الأنظمة السياسيّة جاهدة التّضييق عليه ومحاولة حصره وتوجيهه بما يخدم أهدافها، ولكن هيهات أن يلجم الأدب لأنّه يستمدّ قوّته وإبداعه من صعوبة السّيّطرة عليه، فهو يمتلك قدرة على تطويق مختلف القيود ومقاومتها، كما يتصدّى للإكراه، ويحطّم كلّ سلطة حين ينفّث على الخيال من أجل توليد المتعة والنّفع عن طريق خلق الوعي.

من المواضيع التي زخر بها أدبنا في هذا العصر: أدب السّجون الذي ازدهرت فيه صناعة الحرف وإبداع الكلمة وامتزجت بالصّمود والألم، وأضحت صورة بديعة نابضة بالحياة، تصوّر وتختصر فصولاً من نضال الشّعوب، مؤرّخة وموثّقة لكلّ التّضحيات، فالكتابة في الأسر حياة جديدة ولدت من رحم القهر والمأساة لتصبح فيما بعد نموذجاً حيّاً، ارتقى من حالة الوصف إلى حالة التّحليل والتّفسير، ومن وسيلة تعبير إلى وسيلة نضال ومقاومة، بل تعدّى ذلك ليكون ميلاداً جديداً للحياة في بيئة انتزعت كنه الإنسان وجوهره الإنساني الوجداني.

يكتب السّجين رغم قيده ليتحرّر من فظاعة الرّزانة والسّجان، وليسجّل ذاكرة وتاريخاً شاهداً على ظلم التّحقيق وظلام أقبية الاعتقال، وكان الرّوائي الأردني "أيمن العتوم" أحد الكتاب الذين خاضوا تجربة السّجن، ونقلوا تجارب سجناء آخرين جرّ عليهم الاعتقال من الهموم ما ناءت أرواحهم بحمله، فأنتج إبداعاً دقّاقاً وصوراً فيّاضة تمسّ الجوارح وتلامس القلوب، ومن هنا جاء موضوع هذه الدّراسة كبحث وتحليل في مميّزات أدب السّجون عند

هذا المبدع وقد عنونتها بـ: أدب السجون عند أيمن العتوم من خلال روايته "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن".

ومن دوافع اختياري لهذا الموضوع: الفضول والشغف المتواصل بالقضايا الشائكة التي تمسّ الإنسان بدرجة أولى، وضرورة مواكبة العصر بالاطلاع على أهمّ المواضيع الرّائجة و تسليط الضّوء على روائي ذاع صيته في الآونة الأخيرة، بالإضافة إلى الخوض في غمار الممنوع والمغيّب قصدا من طرف السّلطة وكشف الجانب المعتم منه. من خلال ما سبق تواجهنا الإشكالية التّالية:

ـ كيف تعامل "أيمن العتوم" مع قضية السّجن من خلال تجربته الخاصة في "يا صاحبي السّجن" و نقل تجربة سجين آخر في "يسمعون حسيها:؟

وقد اندرجت تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية نذكر منها:

ـ لم ظهر أدب السّجون؟ وما القضايا التي يتناولها؟

ـ ماهي خصائص ومميّزات هذا النّوع من الأدب؟

هذه التّساؤلات أدّت بي إلى افتراض إجابات مبدئية تمثّلت في محاولة نقل السّجين معاناته خارج أسوار السّجن بالحديث عن واقعه المهين ووصف حياته داخل السّجون، فجاء النّص صادقا.

وللإجابة على التّساؤلات المطروحة اعتمدت خطة بحث مقسّمة إلى مقدّمة، مدخل،

فصل نظري، فصلين تطبيقيين وخاتمة.

ـ مدخل: تحدّثت فيه عن مفهوم السّجن وجذوره في التّاريخ العربي.

ـ الفصل الأوّل: جاء بعنوان: أدب السّجون مفاهيم نظرية، تتدرج تحته عدّة عناصر

هي: مفهوم أدب السّجون، عوامل ظهوره، أجناسه، القضايا والمواضيع التي يتناولها

وأخيرا خصائص ومميّزات هذا النّوع.

ـ الفصل الثّاني: دراسة تطبيقية بعنوان: الخصائص المعنوية في روايتي: "يسمعون

حسيها" "يا صاحبي السجن".

- الفصل الثالث: دراسة تطبيقية حول الخصائص الفنية والأسلوبية في الروايتين قيد الدراسة.

- خاتمة: جاءت كحوصلة لأهمّ النتائج المتوصّل إليها.

لما كان لكلّ دراسة منهج معتمد، فموضوع البحث فرض منهجا تكامليا، إذ اعتمدت على المنهج التاريخي في رصد تطوّر أدب السّجون عبر التاريخ ومراعاة التسلسل الزمني للعصور الأدبية، والمنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الوقائع المختلفة، والمنهج النفسي الذي بيّن أحوال السّجناء وانعكاس السّجن والتّعذيب على فكرهم وأرواحهم، دون إغفال المنهج التحليلي في تفسير هذا النوع من الأدب وتحليل أهمّ الخصائص انطلاقا من المدوّنتين.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: مدوّنتا الدراسة، أدب السّجون وأثرها في الآداب العربية للدكتور واضح الصّمد، و أدب السّجون في فلسطين دراسة توثيقية للباحثة إيمان مصاروة .

أمّا عن العقبات التي اعترضت سبيلي فتمثّلت في ندرة المراجع خاصة النقدية التي تناولت هذا الموضوع الشائك أو منع نشرها خارج حدود أوطانها نظرا لحساسية القضايا المتناولة فيها، بالإضافة إلى أزمة "كوفيد 19" التي حالت بيني وبين العمل لمدة شهرين. أخيرا لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدّم بخالص الشكر والعرفان والجميل لأستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور بوراس سليمان، على ما بذله من جهد كبير في متابعة هذا البحث وتقويمه، وما أسداه إليّ من نصائح قيّمة وتشجيع كبير، كان لهما الأثر البالغ في إنتاج هذا العمل بصورته الحالية.

كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين يسهرون على قراءة هذا العمل وتمحيصه ونقده وتقديم التوجيهات للاستفادة منها، كما أشكر كلّ من قدّم لي يد العون من قريب أو بعيد.

مدخل: مفهوم السّجن وجزوره في التاريخ العربي

1- تعريف السّجن

2- السّجون في التاريخ العربيّ

## 1-تعريف السّجن:

### 1-1-السّجن لغة:

عرفت لفظة "السّجن" عند العرب عدّة معان بحسب استخدامها وتوظيفها في كلامهم إذ أنّهم استعملوها للدلالة على المكان، وعلى حال الشّخص، فجاءت في "لسان العرب" لابن منظور "في مادة: س ج ن بمعنى: " الحبس، والسّجن بالفتح: المصدر. سجنه يسجنه سجنًا أي: حبسه... والسجن: المحبس. وفي بعض القراءة: "قال ربّ السجن أحبّ إليّ"، فمن كسر السّين فهو المحبس وهو اسم، ومن فتح السّين فهو مصدر سجنه سجنًا... والسّجان: صاحب السّجن، ورجل سجين: مسجون، والجمع سجناء وسجنى، وقال أبو عبيدة: وهو فعيل من السّجن والحبس، وفي حديث أبي سعيد: ويؤتى بكتابه مختوما فيوضع في السّجين..... و هو بغير الألف واللام اسم علم للنّار، ومن قوله تعالى: "كلاًّ إنّ كتاب الفجّار لفي سجين". والسّاجون: الحديد الأثيث، وضرب سجين أي شديد"<sup>1</sup>.

و جاء في معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس: "سجن: السّين والجيم والنون أصل

واحد وهو الحبس، يقال: سجنته، سجنًا.... والسّجن: المكان يسجن فيه الإنسان..."<sup>2</sup>.

وذكر "الفيروز أبادي": "سجنه بمعنى حبسه، والهّمّ: لم يبيّته، والسّجن بالكسر: المحبس

وصاحبه: سجان، والسجين هو المسجون، ج: سجناء وسجنى...."<sup>3</sup>

و عرّفه "ابن سيده": "(س ج ن) سجنه يسجنه سجنًا: حبسه، وفي بعض القراءة:

"السّجن أحبّ إليّ"، والسّجن: المحبس، والسّجان: صاحب السّجن، ورجل سجين: مسجون

<sup>1</sup> - أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج1 مادة (ح.ب.س)، دت، ص: 203.

<sup>2</sup> - أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ط1، 1979، ص: 137.

<sup>3</sup> - مجد الدين الفيروزأبادي: معجم القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008 ، ص: 235.

## مدخل: مفهوم السّجن وجذوره في التاريخ العربي

وكذلك: الأنتى بغير هاء.....، والسّجّين بكسر السّين والجيم: السّجن، وهو واد في جهنّم مشتق من ذلك، ويقال: فعل ذلك سجّينا بكسر السين: أي علانية، و السّاجون: الحديد الأنيث<sup>1</sup>.

يعني السّجن من خلال هذه التّعريفات: الحبس ومنع الحرية ووقف الشخص لذنب ارتكبه، كما أنّه يشير إلى المكان الذي يوضع فيه المسجون ويدلّ كذلك على نوعية البناء من خلال استخدام الحديد الصلب الذي لا يسهل صهره و لا قطعه.

### 1-2- اصطلاحا:

ورد لفظ السجن وبعض مشتقاته في القرآن الكريم خاصة في "سورة يوسف" في إطار قصصي ومن الآيات التي ذكر فيها:

- "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"<sup>2</sup>.

- "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۗ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ"<sup>3</sup>.

- "يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"<sup>4</sup>.

دلّت كلمة السجن في القرآن الكريم على المكان الذي يخضع فيه السّجين لعقوبة جراء عمل معين أو ارتكاب ذنب ما.

وقد أورد "الإمام الكسائي" (ت 578هـ) أنّ السّجن "هو منع المحبوس عن الخروج إلى أشغاله ومهمّاته وإلى الجمع والجماعات والأعياد، لأنّ الحبس يكون للتوصل إلى قضاء

<sup>1</sup> علي بن اسماعيل بن سيده: المحكم و المحيط الأعظم، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج 7، معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربية، ط1، 1958، ص: 196.

<sup>2</sup> القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 25.

<sup>3</sup> القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 33.

<sup>4</sup> القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 36.

## مدخل: مفهوم السّجن وجذوره في التاريخ العربي

الدّين والغاية منه الضّجر فيسارع إلى قضاء دينه"<sup>1</sup>.

ربط "الإمام الكساني" الحبس بالدّين مع قدرة المحبوس وبالتالي منع المسجون من أداء أعماله ومعاملاته قصد التضييق عليه للإسراع إلى قضاء ديونه. جاء في مصادر الفقه ومصادر السّياسة الشرعية "أنّ الحبس الشرعي ليس هو السّجن في مكان ضيق وإنما هو تعويق الشّخص ومنعه من التّصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد..."<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا التّعريف نستنتج أنّ التّعويق هو أهمّ شروط الحبس في الشريعة الإسلامية، فيمنع عن المحبوس مختلف الأشغال اليومية الاجتماعية والدينية كأداء الصلاة في المسجد أو أداء فريضة الحج وكذا معاملات البيع والشراء، والهدف من هذه العقوبة هو إصلاح شأن المعاقب دون إلحاق الأذى الجسدية أو النفسية به.

والسّجن في المنظومة السّياسية "هو المكان الذي تنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين القاضية بحبسهم، وقد يكون السّجن لغير ذنب كما لو كان لدين أو تهمة"<sup>3</sup>، وهو مؤسّسة اجتماعية قديمة تطوّرت وجودها على مرّ العصور ليقدم أغراضا سياسية واجتماعية واقتصادية"<sup>4</sup>.

فالسّجن مصلحة اجتماعية موجودة منذ القديم ومتطورة من عصر لآخر، تقوم على تأديب المذنبين جرّاء تهمة أو ذنب.

ويعرفه "سالم المعوش" بأنّه: "مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله و إنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - السجون في العصر العباسي: 132هـ-334هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إعداد: أيمن سليمان خالد التميمي، المشرف: محمد عبد القادر حريسات، كلية الدراسات العليا: جامعة الأردن، 1997، ص: 05.

<sup>2</sup> - السجون والسجناء في الأندلس الإسلامية: 138هـ-479هـ، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إعداد: وردة العابد، المشرف: ابراهيم بحاز، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 2017/2018، ص: 28.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 30.

<sup>4</sup> - أيمن سليمان خالد التميمي: السجون في العصر العباسي: 132هـ-334هـ، ص 01.

<sup>5</sup> - سالم المعوش: شعر السّجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص: 34، 35.

وهو في نظر "العقّاد": "مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت ثمّ أصبح مكانا للتّخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السّلطان"<sup>1</sup>. فالسّجن إذا مؤسسة إصلاحية الهدف منها العقاب قصد التأديب، كما أنه حلّ سياسي وحيلة لإبعاد المتمردين والرّافضين لنظام الحكم وسياسة الحاكم.

## 2- السّجون في التاريخ الأدبي العربي:

إنّ فكرة السّجون موعلة في التّاريخ العربي، ضاربة في جذور الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد كان الأديب من بين هؤلاء الذين خاضوا تجربة السّجن فقد عرف الأدب العربيّ على مرّ العصور والحقب التّاريخية المختلفة أدب الأسر وتجربة الاعتقال، وثمة الكثير ممّا كتبه المبدعون في غياهب السّجون، وجاءت على ألسنتهم الكثير من الرّوائع التي تحدّثت عن مرارة السّجون وقسوة العيش فيها وما تعرّضوا له من ظلم وقهر وتعذيب، كما عبّروا عن الحنين إلى الأحباء والتّوق إلى الحرية، وسنحاول فيما يلي رصد بعض المقتطفات الأدبية والتي تعتبر بدايات أدب السجون عبر العصور العربية المختلفة انطلاقاً من العصر الجاهلي وصولاً إلى العصر المعاصر:

### 2-1- العصر الجاهلي:

تميّزت البيئة العربية في هذا العصر بالانقسام إلى قبائل ولكلّ قبيلة سيّد يحكمها، يسنّ قوانينها ويسير شؤونها وكلّ مخالف له يعتبر صعلوكاً خارجاً عن القانون، كما تميّزت الحياة الجاهلية بنظام التّغازي والغارات، اللّصوصية والنهب والحروب، كلّ هذه الظروف سيطر عليها الأسر والسّجن في الأخير من طرف المنتصر، فجاء السّجن نتيجة للعلاقات والأنظمة السّائدة آنذاك وتطبيق نظام البقاء للأقوى<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- سالم المعوش: شعر السّجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص:38.

<sup>2</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص:46.

كان الشّاعر جزءاً مهماً من التركيبة الاجتماعية فهو لسان أهل قبيلته وسفيرهم بين القبائل الأخرى وهو معرّض كأفراد قبيلته للسّجن والاعتقال ولا نجد خيراً منه يعبر عمّا يتعرّض له السّجين من مأساة ومعاناة واشتياق..

وأولّ النّصوص التي وردت إلينا من أدب السّجون قصائد شعرية للشاعر الجاهلي "عدي بن زيد العبادي" الذي نظم العديد من قصائد الشكوى التي رفعها إلى عمّه "النعمان" مبرّئاً نفسه من تهم الوشاة ومؤكداً إخلاصه للملك يقول فيها:

ألا من مبلغ النعمان عني	وقد تهدي النصيحة بالمغيب
أحظّي كان سلسلة وقيدا	وغلا والبيان لدى الطبيب
أتاك بأنني قد طال حبسي	ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتي مقفر إلا نساء	أرامل قد هلكن من النّحيب
يبادرن الدّموع على عدي	كشّنّ خانه خرز الريب
فإن أظلم فقد عاقبتموني	وأن أظلم فذلك من نصيبي
فإني قد وكلت اليوم أمري	إلى ربّ قريب مستجيب <sup>1</sup>

نلاحظ أنّ مسحة الحزن ومرارة الألم طغت على شعره وتمكّن منه الاستسلام في الأخير بأن فوّض أمره لله عزّوجل.

ويقول في قصيدة أخرى بعد أن طال ليله وتآلفت عليه الهموم منتظراً فرج الصّبح، لأنّ ليل السّجين يطول فيلجّ الأسي والتّململ والسّهاده في زمن انتظار بغيض، وأرق قاتل وغربة نفسية في سجن موحش سرق التّوم من العين<sup>2</sup> يقول:

طال ذا الليل علينا واعتكر	وكأنّي نادر الصّبح سمر
إذ أتاني نبا من منعم	لم أخنه والذي أعطى الشّبر

<sup>1</sup>- واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995، ص: 109-110.

<sup>2</sup>- حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1986، ص: 19.

من نجى الهمّ عندي ثاويًا      فوق ما أعلن منه وأسـر  
وكأنّ اللّيل فيه مثله      ولقد ما ظنّ بالليل القصر  
لم أغمض طوله حتّى انقضى      أتمنّى لو أرى الصّبح شجر<sup>1</sup>

وهذا "عنتر بن شدّاد العبسي" قبض عليه عند "المناذرة" وأودع السجن فقال:

ترى علمت عبيلة ما ألقى      من الأهوال في أرض العراق  
طغاني بالرّبا والمكر عمّي      وجار عليّ في طلب الصّدق<sup>2</sup>

## 2-2- عصر صدر الإسلام:

تغيّرت المعطيات في هذا العصر بمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم وتحريم قتل النّفس بغير حق فكان السجن أو الأسر تعطيلاً للأمور الاعتيادية في المسجد<sup>3</sup>، كما خضع هذا المفهوم للكثير من الإنسانية والرحمة المستقاة من تعاليم ديننا الحنيف.

سجن الخليفة "عمر بن الخطّاب" -رضي الله عنه- الشّاعر "الحطيئة" تأديبا له على هجائه الناس، فقد كان ذا شرّ وسفه، يجيد المدح والهجاء، ومما قاله في سجنه مستعظفا للخليفة ومعتذرا:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ      زغب الحواصل لا ماء ولا شجر  
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم      من عرض داوية يعمي بها الخير  
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة      فاغفر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمين من بعد صاحبه      ألقت إليك مقاليد النّهي بشر<sup>4</sup>

وسجن الخليفة "عثمان بن عفان" -رضي الله عنه- الشّاعر "ضابئ بن الحارث

البرجمي" حيث قال وهو في سجنه:

<sup>1</sup>- واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربيّة، ص: 110.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص: 16.

<sup>3</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص: 39.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص: 32.

من يك أمسى بالمدينة رحله  
فإنّي وقــــيار بها لغريب  
وما عجلات الطّير تدني من الفتى  
رشادا ولا عن ربيهن يخيب<sup>1</sup>

## 2-3- العصر الأموي:

بموت "علي بن أبي طالب" -رضي الله عنه- انتهى عهد الخلفاء الراشدين وانتقلت الخلافة إلى الأمويين، وانقسم المسلمون إلى فرق عديدة بين مؤيد للخلافة الأموية ومعارض لها. ويعتبر هذا العصر هو العصر الأكثر وحشية ودموية في التاريخ العربي نظرا للصراع حول السّلطة فأصبح القتل والسجن والتعذيب والتنكيل أمرا مألوفا تمارسه السلطة الحاكمة على خصومها السياسيين<sup>2</sup>.

ومن الشعراء الذين تعرّضوا للسّجن الشاعر "يزيد بن مفرغ الحميري" ومن شعره:

دار سلمى بالخبت ذي الأطلال  
كيف نوم الأسير ذي الأغلال  
أين مني السلام من بعد نأي  
فارجعي لي تحيّي وسلامي  
أين لا أين جنّتي وسلاحي  
ومطايا سيرتها لارتحالي<sup>3</sup>

من خلال هذه القطعة نرى كيف أنّه كان يعاني من القيود لأنّه لا يستطيع الحراك ولا حتّى النوم براحة وهدوء.

ويحاول في أبيات أخرى التّخفيف عن نفسه من مصيبة السّجن بالتذكير بعذاب الآخرة ومواساة نفسه بنوع من التّحدي بأنّ ما نظمه في هجاء خصومه باق، بينما عذابه منته يومًا ما لا محالة:

أيّها الملك المرهب بالقتل  
بلغت النّكال كلّ النّكال  
فاخش نارا تشوي الوجوه يوما  
يقذف الناس بالدواهي الثقال  
قد تعدّيت في القصاص وأدر  
كت نخولا لمعشر أقتال

<sup>1</sup>- واضح الصّمد، السّجون وآثارها في الآداب العربيّة، ص: 34.

<sup>2</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص: 39.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص: 43.

وكسرت السّين الصّحيحة مني      لا تذلني فمفكر إذلالي  
وقرنتم مع الخنازير هرا      ويميني مغولة وشمالي  
وأطاتم مع العقوبة سجنا      فكم السّجن؟ ومتى إرسالي  
يغسل الماء ما صنعت وقولي      راسخ منك في العظام البوالي<sup>1</sup>

## 2-4- العصر العباسي:

تطوّرت الحياة كثيرا في هذا العصر وتطوّر معها الجانب السياسي عامة والمؤسسة العقابية خاصة، فمع انفتاح الحضارة العباسية على الحضارات الأخرى واستجلاب الشعوب من كافة الأنحاء واختلاط العرب مع غيرهم من الأجناس كالهنود والفرس والأتراك، كان لابدّ من سنّ المزيد من القوانين والضوابط قصد تنظيم الحياة آنذاك، إذ أنّ الدولة العباسية في كلّ مراحل وجودها تطلب الولاء وكلّ مخالف لها أو مرتدّ أو مناهض لسياسة العباسيين حقّ له السّجن.

ولقد سجّلت الحركة الشّعرية خصوصا حالات كثيرة من دخول الأدباء السّجن كونهم خرجوا عن القوانين والآداب العامة، ومن هؤلاء الشعراء نذكر "علي بن الجهم" الذي قرّبه إليه الخليفة "المتوكّل" ثمّ نفر منه لأنّه كان كثير السّعاية إليه بندمائه والذّكر لهم بالقبيح عنده، ولما كشف الخليفة حقيقة أمره حبسه ونفاه إلى "خرسان"<sup>2</sup> أين رضي بقدره فكتب قائلا:

توكّلنا على ربّ السّماء      وسلّمنا لأسباب القضاء

ووطننا على غير اللّيالي      نفوسا سامحت بعد الإباء<sup>3</sup>

كما قال في سجنه شعرا يفور تحديا حيث شبّه نفسه بسيف مازال حادا قويّا لم تشبهه شائبة، فتجربة السّجن عنده لم تزده إلّا عنادا كما أنها مدعاة فخر وتباه لمن لم يقترف ذنبا حيث قال:

<sup>1</sup> - واضح الصمد: السّجون وآثارها في الآداب العربيّة، ص: 45.

<sup>2</sup> - ينظر: حسن سليم نعيسة: وراء القضبان، ص: 107.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 108.

قالوا حبست قلت ليس بضائري حبسي وأيّ مهنّد لا يغمّد<sup>1</sup>

لم يشتهر شاعر عربي في مجال النّفي والسّجن كشهرة "أبي فراس الحمداني" وروميّاته التي بثّ فيها معاناة الأسر والشّوق ونار الوحدة والغربة، حيث أسره الرّوم حين كان عائداً من الصّيد رفقة حاشيته، وتباطأ سيف الدّولة في افتدائه، فأخذ يبعث إليه قصائد الاستعطاف ويطلب من والدته الصّبر، وممّا قاله:

مصاـبي جليل والعزاء جميل	وظنّي بأنّ الله سوف يديل
جراح و أسر واشتياق وغربة	أحمل إني بعدها لحمول
جراح تحامها الأساءة مخافة	وسقمان باد منهما ودخيل
وأسر أقاسيه وليل نجومه	أدى كلّ شئ غيرهنّ يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرة	وفي كلّ دهر لا يسرك طول <sup>2</sup>

ويقول معاتباً سيف الدّولة الذي لم يستجب لنداء أمّه موضّحاً الفرق بين حياة الخليفة

وبين حياة السّجن البائسة الشّقية:

بأيّ عذر رددت والهة	عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح ردّ واحدها	ينتظر النّاس كيف تقفلها
تلك المودّات كيف تهملها	تلك المواعيد كيف تغفلها
يا واسع الدّار كيف توسعها	ونحن في صخرة نزلها
يا ناعم الثّوب كيف تبدله	ثيابنا الصّوف ما نبدلها؟
يا راكب الخيل لو بصرت بنا	نحمل أقيادنا وننقلها <sup>3</sup>

<sup>1</sup> - حسن سليم نعيصة: شعراء وراء القضبان، ص: 129.

<sup>2</sup> - أبو فراس الحمداني: الديوان، جم: سامي الدهان، مكتبة الدكتور مروان العطية، ج2، بيروت، د، ط، 1944، ص: 325.

<sup>3</sup> - أبو فراس الحمداني، المرجع نفسه، ص: 332.

والشاعر حين يخلو بنفسه يتأمل سجنه وحاله ووحدته فيقول أعذب الأشعار، مستجديا  
العواطف محرّكا النفوس والقلوب، ولعلّ أعذب مقطوعة قالها الشاعر في السجن هي  
مقطوعة الحمامة التي سمع هديلها في إحدى الليالي حيث قال:

أقول وقد ناحت بورقي حمامة      أيا جارتا هل بات حالك حالي  
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى      ولا خطرت منك الهموم ببالي  
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا      تعالي أقاسمك الهموم تعالي  
أيضحك مأسور وتبكي طليقة      ويسكت محزون ويندب سالي  
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة      ولكنّ دمعي في الحوادث غال<sup>1</sup>

لا يسعنا الحديث عن العصر العباسي دون أن نذكر واحدا من فحول الشعراء فيه ألا  
وهو الشاعر "أبو الطيّب المتنبّي" الذي عرف بأنفته وفخره وكبريائه حيث قال مكابرا  
ومستخفاً بالسجن:

كن أيّها السجن كيف شئت فقد      وطّنت للموت نفس معترف<sup>2</sup>

ويقول في بيت آخر مفتخرا بالسجن وبأته منزل للعظماء:

لو كان سكناي فيك منقصة      لم يكن الدر ساكن الصدف<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أبو فراس الحمداني، الديوان، ص: 313.

<sup>2</sup> - حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، ص: 153.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 154.

## 2-5- العصر الأندلسي:

انتشرت السّجون عند الأندلسيين كغيرهم، وسجن فيها الأمير والشاعر والجندي وعاشوا حياة قاسية فيه، و أحسن إنسان داخل السّجن من استطاع الكتابة والتعبير عن آلامه وأحزانه ومعاناته مخترقا الجدران والقضبان، مخفّفاً عن نفسه الأحمال التي أثقل بها كاهله، تاركا أثارا قيّمة تستوقف الدّارسين.

ومن أمثلة هؤلاء الشعراء "ابن زيدون" الذي سجن بسبب رسالة هزلية بعثها للوزير "أبي عامر بن عبدوس"، حيث شكّا آلامه إلى الدّهر وهو مقتنع بانفراج حاله:

إن قسا الدّهر فلما	ء من الصّخر انبجاس
ولئن أمسيت محبو	سا فلغيث احتباس
فتأمل كيف يغشى	مقلة المجد النّعاس
واغتم صفو اللّيالي	إنّما العيش اختلاس
وعسى أن يمسخ الدّهر	فقد طال الشّماس <sup>1</sup>

وقال في قصيدة أخرى معبرا عن اشتياقه وحزنه وطول ليله:

تنشق من عرف الصّبا ما تنشقّا	وعاوده ذكر الصّبا فتشوقّا
ومازال لمع البرق لما تألقّا	يهيب بدمع العين حتى تدفقّا
رمتي اللّيالي عن قسيّ النّواب	فما أخطأني مرسلات المصائب
أقضي نهاري بالأمان الكواذب	وأوي إلى ليل بطيء الكواكب <sup>2</sup>

وهذا الأمير "المعتمد بن عباد" الذي قال الكثير في شعر السّجون في قالب وجداني مرهف، نقل لنا من خلاله آلامه بسبب ما يعانیه تحت وطأة السّجن واصفا تارة، مستعظفا تارة أخرى حيث قال مشبّها القيد بالثّعبان راجيا الرّحمة منه:

وقد كان كالثّعبان رمحك في الوغي      فغدا عليك القيد كالثّعبان

<sup>1</sup> - حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، ص: 159.

<sup>2</sup> - إيمان مصاروة: أدب السّجون في فلسطين دراسة توثيقية، شبكة محررون، إصدار الكتروني، رقم 136، 2020، ص: 28.

متمدّد بحذاءك كلّ تمّدّد متعطّفا لا رحمة للعاني<sup>1</sup>

ويقول في الرّدّ على من أشار إليه بالخضوع والاستسلام:

قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع

و ألدّ من طعم الخضوع على فمي السّمّ النّقيع<sup>2</sup>

بهذه الصّفحات نكون قد وقفنا عند محطات تاريخية موجزة حول تطوّر أدب السّجون في التّاريخ العربي، معرّجين على أهمّ الشعراء الذين خاضوا تجربة السّجن، الذين تباينت عواطفهم بين الاشتهاق والأسى والمعاناة والاسترحام..... لنواصل الدّراسة في الفصول التّالية حول أدب السّجون في العصر الحديث والمعاصر.

<sup>1</sup> - سالم المعوش، شعر السّجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص: 159.

<sup>2</sup> - إيمان المصاروة، المرجع السّابق، ص: 24.

## الفصل الأول: أدب السّجون: مفاهيم نظرية

- 1- مفهوم أدب السّجون
  - 2- عوامل وأسباب ظهور أدب السّجون
  - 3- أجناس أدب السّجون
  - 4- قضايا ومواضيع أدب السّجون
  - 5- خصائص ومميزات أدب السّجون
- 5-1- الخصائص المعنوية
  - 5-2- الخصائص الفنيّة والأسلوبية

## 1- مفهوم أدب السجون:

شكّلت أدبيات الاعتقال السياسي واجهة من واجهات الصّراع السّياسي في العالم العربيّ و كان موضوع السّجن السياسي من الطّابوهات التي يحرم الخوض فيها في الوطن العربي<sup>1</sup>، ولكن سرعان ما بدأت الشعوب تستفيق رافضة كل مظاهر الطّغيان والقمع السّياسي لينال هذا النّوع من الأدب حيّزا كبيرا في السّاحة الأدبية المعاصرة، وقد تتوّعت مفاهيمه وتسمياته بتعدّد توجّهات الأدباء والنقاد.

اعتبر بعض النّقاد أنّ أدب السجون "امتداد لأدب المقاومة لأنه يعمل على إدانة وفضح مختلف الممارسات السلطوية المتحكمة في السّلك السّياسي للأنظمة العربية، ومن المشاكل التي تعاني منها الأمة العربية نجد غياب الديمقراطيّة واحتكار السّلطة"<sup>2</sup>. من خلال هذا التعريف نفهم أنّ أدب السجون وسيلة من وسائل رفض القمع السّياسي في الدّول العربية، لأنّه بمثابة جبهة مناهضة ومقاومة في وجه الظلم والتّجبر والطّغيان، بحثا عن الانعتاق والحرية والأمل في غد أفضل بتحقيق الديمقراطيّة و السّلام والعدالة بأنواعها انطلاقا من المواطن العربي كونه إنسانا ووصولاً إليه باعتباره إنسانا كذلك.

و أدب السّجون هو: "الأدب الإنساني النّضاليّ الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزّنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الدّاتي و المعبر عن مرارة التّعذيب و آلام التّنكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخبوط الشمس، ففي جحيم السّجن ودياجير الظّلام الدامس يمتشق السجين قلمه ليحاكي واقعة وحياته الجديدة و يغمسه في الوجدان ليصوّر تجربة الأسر والمعاناة اليومية، ويسطرّ ملامح الصّمود والتّحدي والبطولة ومعارك الأمعاء الخالية، في نصوص لا أصدق ولا أعذب ولا أجمل منها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: لخضر منير: أدب السّجون ومقاومة الاستبداد السياسي بالمغرب (أوراق كتبت في وعن السّجن)، مجلّة الحوار المتمدن الإلكترونيّة، العدد 1903، 2007/05/02.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - زكريا بوغرة: الأكف الممزقة، تق: الشيخ ياسر السري، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، الطبعة الأولى الإلكترونيّة، ص: 02.

فهو نوع من أنواع الأدب المعني بتصوير الحياة التي ولد منها، حياة خلف القضبان وفي جحور المعتقلات، يتحدث في الأغلب عن الظلم الذي يتعرض له السجّاء، والأسباب التي أودت بهم هناك، حيث يدوّن السجّاء أنفسهم معاناتهم وكلّ ما مرّوا به من أحداث وأزمات داخل أقبيبتهم التي تفوح منها رائحة الموت.

ويرى الدكتور "رأفت حمدونة" أنّ أدب السجون هو: "أدب مقاومة وهو جزء من الأدب العربي المعاصر، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمى الحديث،... وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه بشرط أن يكون من أجناس الأدب"<sup>1</sup>.

نلاحظ من خلال التعريفين الأخيرين أنّ الدارسين اشترطوا مكان الكتابة ليصلح تسمية هذا النوع من الأدب بهذا الاسم ألا وهو: السجّن الفعلي، فالسجّن أمر أساسي والكتابة داخله تحت وطأة المعاناة والتّعذيب ضرورية، فأدب السجون في نظرهم هو: ذلك الأدب الذي ولد في عتمة الزنازين وتمخّض من رحم الوجع الدائم في متاهات السجون، إذ أنّه يعبر عمّا يشعر به الشّاعر من مرارة وضيق وألم وعذاب، وعن همومه التي لا تبارح مخيلته المتفجّعة بخناجر القهر ومسامير الوجع، و بالإضافة إلى المكان هناك شرط آخر هو: الجنس الأدبي كأن يكون شعرا أو رواية أو قصة... لأنّ الكثير من السجّاء نقلوا معاناة الأسر والألم وحياة الإنسان في غياهب السجون لكنّها اعتبرت شهادات حية وتأريخا لمراحل معينة لأنّها لم تكن كتابات أدبية ولم تحمل في تقاسيمها سمات الأدب وخصائصه.

غير أنّ الكثير من الدارسين والكتّاب من أسقط عنصر المكان وشرطه في هذا النوع، وهو ما أقرته الباحثة "فاطمة مسلماني" في مقالها المعنونة بـ "أدب السجون" حيث عرّفته بأنّه: "نوع من الأدب الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجّن والتّعذيب خلال فترة سجنهم أو بعدها أو كتبه الذين رصدوا تجارب سجّاء عرفوهم أو سمعوا عنهم"<sup>2</sup>، وعرّفه

<sup>1</sup> - رأفت حمدونة: أدب السجون: التعريف والمميزات.

<sup>2</sup> - فاطمة مسلماني: أدب السجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، 28 ديسمبر 2018، 2021/02/12 <https://pulpit.Alwatanvoice.com//24-01-2016.htm>

<sup>2</sup> - فاطمة مسلماني: أدب السجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، 28 ديسمبر 2018، 2021/02/12.

آخرون على أنه الأدب الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، وعرف على أنه ما يكتب في الأسر ويهتم بقضايا السجن، ويتكوّن من شقين: شق يتعلّق بالسجناء أنفسهم وما كتبوه هم من داخل غرف السجن، وما وثّقوه أثناء وجودهم في السجن وحتى بعد خروجهم منه، فالتجربة قائمة....، وشقّ يتعلّق بما عبّر عنه الأدباء خارج السجن<sup>1</sup>، لا سيّما أولئك الذين تخيّلوا حياة السجن واستمعوا لها وعاشوا بوجودهم تجربة السجناء، وراحوا يعبرون عنها بصياغاتهم الخاصة وأسلوبهم القادر على تصوّر حياة السجن والتعبير عنها بشكل فنيّ.

لعلّ أشمل تعريف لأدب السجون هو ما خلصناه من كلّ التعريفات السابقة المتمثّل في أنّه: ذلك الجنس الأدبي النضالي الذي يتناول حياة السجن والسجناء التي يشوبها البؤس والقهر المتولّدان من مرارة المعاناة وقسوة الحياة، والتعبير عن العذاب الذي يعيشه السجين في أقبية مظلمة تفوح منها رائحة الموت الممزوجة بروح التّحدي و التّوق إلى الحرية سواء تعرّض الأديب لتجربة سجن شخصيّة أو عبّر عن تجارب محكية له أو تخيّل مأساة السجناء، ويعتبر وسيلة مقاومة في العادة يلجأ إليها الأديب للتعبير عن أوضاع سياسيّة أو اجتماعيّة قصد الكشف عن الفساد الواقع ومحاربة مظاهر الظلم والطّغيان.

<sup>1</sup> - فاطمة مسلماني: أدب السجون.

## 2- عوامل وأسباب ظهور أدب السجون:

تجربة السجين وما ينجز عنها من تعذيب، قهر، مأساة، معاناة، سلب للحرية ودمار من أقسى وأصعب التجارب التي قد يمر بها إنسان ما، ولكن الأصعب أن يخلدها لتكون حياة في ذاكرته وفي ذاكرة غيره من الضمير الجمعي، شاهدة على أزمة عميقة عايشها، مؤرخة لأحداث تاريخية، اجتماعية وسياسية في فترة زمنية معينة من خلال أشكال أدبية مختلفة تفرض نفسها كظاهرة أدبية - لقيت اهتماما وإقبالا كبيرين إن على مستوى الشعراء أو على مستوى النقاد والدارسين - فلابد إذا أن تكون هنالك مجموعة من الأسباب التي ساعدت على ظهور هذا النوع من الأدب حصرتها "فاطمة مسلماني" في أربعة أسباب هي: العامل النفسي، التجربة، التأريخ، المعارضة والرفض<sup>1</sup>:

### 2-1- العامل النفسي:

إنّ العذاب والضغظ والكبت النفسي الذي يعاني منه السجين، إضافة إلى انعدام أدنى شروط الحياة في السجن فجر قريحة السجين المبدع، فكانت معاناته عبارة عن طاقات مختزنة ووقودا يحركه ويشدذ همته، فيعبر عن آلامه ويهرب منها عبر الحروف والأفلام، بالإضافة إلى تطلعه للحرية ووعيه بواقعه، فتخلق روحه نحو الفضاءات الرحبة والخيالات اللامحدودة معبرا عن أساه وحرزته وتحديده للسجن والسجان داخل أسوار الزنازين والأقبية المغلقة، فقد جاء الأدب كتعويض للكثير من الحاجات المفقودة والمسلوقة من السجين، كما أنّه انعكاس للقمع والإرهاب الذي عايشه، لتصبح الكلمة المتنفس الوحيد له يوظفها للتعبير وللهرب على حدّ سواء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - فاطمة مسلماني: أدب السجون.

<sup>2</sup> - ينظر: شيرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، رسالة ماجستير، إشراف: د بنان صلاح الدين، جامعة القدس، 2018، ص: 04-05.

## 2-2- التجربة:

لم يكن أدب السجون حكرا على طائفة معينة من الأدباء دون غيرهم ولكن المجال كان مفتوحا ولم يزل لكل مبدع أراد خوض تجربة السجن وتخيلها، لأن الشاعر يتميز بحسه المرهف وروحه الرقيقة وعاطفته المتأججة التي تتألم بتألم الآخرين وتتفجع لمعاناتهم، فعاشوا هذه التجربة نفسيا من خلال ما شاهدوه من مقتطفات داخل السجون أو ما سمعوه من حكايات وما نسجوه في أحياتهم، بالإضافة إلى هؤلاء الأدباء والشعراء الذين خاضوا هذه التجربة الشخصية وعاشوا الآلام والمعاناة ليستطيعوا نشر ما سجلوه خارج أسوار السجن فيما بعد.

## 2-3- التاريخ:

ظهرت بعض الأعمال الأدبية بغرض التأريخ لحقبة زمنية معينة أو حدث ما خاصة ما تعلق منها بالاعتقالات السياسية، لأنها تعكس قوانين الحكومة والأنظمة السياسية الفاسدة لبلد معين والأحداث الحاصلة فيه في زمن محدد، وانعكاسات ذلك على جميع الأصعدة الاجتماعية، الفكرية والاقتصادية.

## 2-4- المعارضة والرفض:

رفع الأديب قلمه في وجه الفساد والظلم، واعتبر قلمه سلاحا يدافع به عن وطنه وعن موقفه وآرائه، فيخطب في الجماهير ويحاول إظهار الحقيقة لهم دون زيف أو تضليل، ويعبر بذلك عن موقفه الرافض والسّاخط عن الأوضاع التي يعايشها مجتمعه خاصة في العصر الحديث والمعاصر أين تنامت قوة الحركة الوطنية وتبلور الوعي والفكر وتطوّرت أساليب الإسناد الجماهيري لها.

### 3- أجناس أدب السجون:

شمل أدب السجون مختلف الأنواع الأدبية، ولكنه كان أكثر انتشاراً من خلال جنسين أدبيين أساسيين هما: القصة والشعر بتفريعاتهما المختلفة، وسنعرّج فيما يلي على بعض الأجناس الأدبية التي عرفت هذا النوع من الأدب:

#### 3-1- الرسالة:

ما يكتبه المرء إلى غيره معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وقد يتوخى فيها البلاغة والغوص في المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع، وقد استطاع السجّاء بعد الكثير من الخطوات النضالية في بعض السجون افتكاك حق مراسلة ذويهم، ومع مرور الوقت وتطور الإمكانيات تحوّلت رسائل المعتقلين إلى أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم، وعبرت عن أفكارهم، خاصّة أنهم لجؤوا في كثير من الأحيان إلى الاستعارات والتّموهيه والألغاز والرّموز، لكنّ البعض كان يعتمد الأسلوب الأدبي خاصة بعد فتح المواهب والقدرات الأدبية خلف القضبان، لقد شكّلت الرسالة نافذة للمعتقل على أسرته ومجتمعه وعلى الحياة الخارجيّة بصفة عامّة، حملت في طيّاتها الكثير من المضامين السياسيّة، التّربويّة، النّفسيّة والفكريّة، فارتفعت من الجانب الإخباري إلى الجانبين التّحليلي والإبداعي، فحصلت بذلك على درجة رفيعة في عالم الأدب والإبداع لأنّها شكّلت مهمّة وطنية و تاريخية وأدبية في آن واحد.<sup>1</sup>

إنّ معظم السجون العربيّة لم تحظ بخاصية كتابة الرسائل وتبادلها بل كان من المستحيل امتلاك قلم أو ورقة بيضاء أو أي أداة أخرى قصد التّضييق على السجّاء ومنعهم من نقل ما يحدث داخل أسوار السجن، خاصة ما تعلّق بسجّاء القضايا السياسيّة التي تمسّ أمن البلاد وتهدّد السّلطة الحاكمة، وإنّما هذه الرسائل منتشرة في السجون الاعتيادية أين يقضي السجين مدّة زمنية معينة فيها نتيجة ارتكابه لجرم ما.

<sup>1</sup>- ينظر: رأفت حمدونة، أدب السجون: التعريف والمميزات.

### 3-2- المسرحية:

جنس أدبي يمثّل على خشبة المسرح، وهي مؤلّف يكتب شعرا أو نثرا يصف الحياة أو الشّخصيات ويتناول أحداثا معيّنة عن طريق الحوار، يتكوّن عادة من عدّة فصول ومشاهد، ينطلق من تصوير الطّبائع وما ينتج عن تناقضها وتصادمها في مواقف تراجمية أو هزلية ساخرة، وظهر هذا النوع داخل الزّنازين قصد الهروب من الواقع والتّرويح عن النّفس وكانت تمثّل من طرف المساجين أنفسهم، ومن بين المسرحيات الفلسطينية الشائعة: مسرحية "فدائي جريح" و "زنبقة الدّم".<sup>1</sup>

لم تلق المسرحية راجا كبيرا لأنّها كانت تمثّل وتعرض داخل السجون في الأمسيات والاحتفاليات، وهذا يعتبر تحديا لإدارة السجون لأنّها كانت رافضة لكلّ أشكال التعبير والتّواصل بين السجّناء.

### 3-3- الرّواية والقصة:

الرّواية هي فنّ سرد الأحداث والقصص، تضمّ الكثير من الشّخصيات والأحداث، وتتميّز بالحبكة الفنية والتشويق معالجة مجموعة من القضايا والمواضيع، أمّا القصة القصيرة فتمثّل حدثا واحدا في زمن واحد فهي تتميّز بالاقتصاد في التعبير والتّصوير.<sup>2</sup>

تعدّ الرّواية من أكثر الأجناس الأدبية المعبّرة عن حالة الاعتقال والأسر قياسا بالأجناس الأخرى، ولقد برز العديد من الأدباء بروائعهم الخالدة التي ولدت من رحم المأساة والمعاناة، ومن بين هذه الرّوايات نذكر ما يلي:

-أيمن العنوم: رواية يسمعون حسيّتها، يا صاحبي السّجن.

-أحمد المرزوقي: تزمّمارت الزنزانة رقم 10.

-فريدة النّقاش: السّجن..الوطن.

<sup>1</sup>- ينظر: رأفت حمدونة: أدب السجون: التعريف والمميزات.

<sup>2</sup>- ينظر: المرجع نفسه.

- مصطفى أمين: سنة أولى سجن.
- فاطمة العراقي/علي العراقي: مذكرات سجينة صفحات حمراء من تاريخ منسي.
- نوال السعداوي: مذكراتي في سجن النساء.
- مصطفى خليفة: القوقعة.
- عبد الرحمان منيف: شرق المتوسط.
- الطاهر بنجلون: تلك العتمة الباهرة.
- وليد الهودلي: ستائر العتمة.
- عائشة عودة: أحلام بالحرية.
- شرق المتوسط: عبد الرحمن منيف.
- شرف: صنع الله إبراهيم.
- حيونة الإنسان: ممدوح عدوان.
- دروز بلغراد حكاية حنا يعقوب: ربيع جابر.

### 3-4- الشعر:

الشعر فنّ يعتمد الصورة، الصوت الجرس والإيقاع ليوحي بإحساسات وخواطر وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المؤلف والمعروف، والموهبة الشعرية ملكة ذاتية وبذرة تنمو داخل الشخصية المتميزة عاطفياً أو عقلياً، ويتميز شعر المعتقالات بكونه مقاوماً في معركة ضارية بين آراء الشاعر ومواقفه النضالية الرافضة لكلّ قمع وفساد وبين السلطة الحاكمة وأسلابها المختلفة.<sup>1</sup>

لقد كان الشعر من بين الإبداعات الأولى للأسرى لأنه أسرع الأنواع استجابة للتعبير عن الألم والمعاناة، كما أنه الأسهل للحفظ والاستذكار، وقد تميّز بروح التحدي والعاطفة

<sup>1</sup> - رأفت حمدونة : أدب السجون: التعريف والمميزات.

المتأججة، ولقد برز عدد كبير من الشعراء داخل المعتقلات نذكر منهم: مفدي زكريا، أيمن العتوم، محمود درويش، توفيق زياد، سميح القاسم... وغيرهم من الشعراء.

قال "محمود درويش" من داخل زنزانته قصيدة "آخر الليل":

وطني

يعلمني حديد سلاسلي

عنف النور

ورقة المتفائل

ما كنت أعرف تحت جلودنا

ميلاد عاصفة

وعرس جداول

سدوا عليّ النور في زنزانية

فتوهجت في القلب

شمس جداول<sup>1</sup>

وألّف شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكريا" ديوان "اللّهب المقدّس" جمع فيه قصائده التي قالها وهو في السّجن، ومن بينها قصيدة "الذبيح الصّاعد" التي نظمها أثناء تنفيذ حكم الإعدام على الشهيد "أحمد زبّانة" قال فيها:

يتهدى نشوان يتلو النّشيدا	قام يختال كالْمسيح وئيدا
فل يستقبل الصّبّاح الجديد	باسم الثغر كالملائكة أو كالطّ
رافعا رأسه يناجي الخلود	شامخا أنفه جلالا وتيها
ر سلاما يشع في الكون عيدا <sup>2</sup>	وتسامي كالروح في ليلة القد

<sup>1</sup> - إيمان المصاروة: أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، ص: 95.

<sup>2</sup> - مفدي زكريا: اللّهب المقدّس، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص: 17.

وقال في قصيدة أخرى يفتخر فيها بالثورة الجزائرية المباركة:

هذا (نوفمبر) قم وحي المدفعا      واذكر جهادك والسنين الأربعا  
واقراً كتابك للأنام مفصلاً      تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا  
واصدع بثورتك الزمان و أهله      واقرع بدولتك السورى والمجمعا  
وقل: الجزائر.. واصغ إن ذكر اسمها      تجد الجبابر ساجدين وركعا  
إنّ الجزائر في الوجود رسالة      الشعب حرّرها وربك وقعا<sup>1</sup>

بينما كتب "سميح القاسم" قصيدته "رسالة المعتقل" التي تنطوي على تحدّ واضح

للسجان و إصرار على النصر وتفاؤل ثوري عميق بدنوّ النهار حيث قال:

لكنني ... أو من يا أمّاه

أو من ... أن روعة الحياة

تولد في معتقلي

أو من أن زائري الأخير... لن يكون

خفاش ليل... مدلجا بلا عيون

لابدّ ... أن يزورني النهار

وينحني السجان في انبهار

ويرتمي... ويرتمي معتقلي

مهدّما... لهيبه النهار<sup>2</sup>

ويقول الشاعر الفلسطيني "معين بسيسو" مشجعا إخوانه المحاربين بضرورة المقاومة:

أنا إن سقطت فخذ مكاني      يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحك لا يخفك      دمي يسيل من السلاح<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - مفدي زكريا: اللّهب المقدّس، ص: 51

<sup>2</sup> - إيمان المصاروة: أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، ص: 83.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 80.

أما الشاعر الرَّاحل "توفيق زياد" فيقول في قصيدته "سمر في السّجن":

يا شعبي يا عود النّد      يا أغلى من روعي عندي  
إنّا باقون على العهد      لم نرض عذاب الزنزانه  
وقيود الظلم وقضبانه      ونقاسي الجوع وحرمانه<sup>1</sup>

ويقول "أيمن العتوم" في ديوانه: "نبوءات الجائعين" الذي كتب قصائده في السّجن:

يا أمّ أيمن لا شكوى تردّينا  
إلا إلى الله: إنّ الله يحمينا  
نموت من أجل أن تحيا عقيدتنا  
ولا نذلّ لجبار وطاغينا  
لقد وردنا على حوض الهدى شرفا  
فلا السجون ولا التعذيب يثينا  
لنا نفوس يهاب الموت عزّتها  
ولا تنام على ذلّ مآقينا  
إنّا صبرنا على ضيم نساق له  
و إن يك الصّبر في الأحشاء سكّينا<sup>2</sup>

يظهر هذا المقطع تجلّد الشاعر وصبره على الأذى و إيمانه المطلق بحماية الله عزّوجلّ له إضافة إلى فخره وكبريائه وتحديّه للجبابرة والطواغيت.

ويقول في قصيدة أخرى تحدّث فيها عن معاناة السّجناء المظلومين الذين يقتادون إلى السّجن وهم براء مما لققّ لهم، وحتى حقّ الرّد أو الدّفاع غير موجود:

حقّ يضيع ولا يعود  
الحقّ ينتزع انتزاع

<sup>1</sup> - إيمان المصاروة: أدب السجون دراسة توثيقية، ص: 86.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: ديوان نبوءات الجائعين قصائد كتبت في السجون، دار المعرفة، القاهرة، ط2 ص: 07.

هذا أنا ...

شعب يعذب في السجون بغير ذنب

ثم يسلب حقّ الدفاع<sup>1</sup>

#### 4- قضايا ومواضيع أدب السجون:

إذا كانت أغلب موضوعات أدب السجون في الماضي تدور حول الاعتذار، العتاب، الأمل واليأس، الحنين والخوف من الموت، الصبر والتوبة... فإنّ موضوعاته في العصر الحديث أخذت منحى آخر، لاختلاف الوعي الفكري وتغيّر الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة، إذ راح الأديب يقطف من بستان السجون أشواك الظلم والمعاناة ليطلق تحديّه ورفضه القاطع لكلّ فساد، ويمكننا تلخيصها فيما يلي:

#### 4-1- واقع السجن والسجين:

غلب على أدب السجون ظاهرة الوصف التحليلي، لأنّ السجين وصف الحياة اليوميّة، وصوّر ما اكتنفها من مشاعر وهواجس وأفكار، فقد تمثّلت الحياة في السجن شبها ينذر بالموت البطيء، المتجدّد بتجدّد الصبّاحات الموحشة والمعاناة الدائمة. لقد صوّر الأديب تلك التجربة المريرة التي صارت جزءاً من فكره ولغته وحياته بتفاصيلها الدقيقة، واصفاً تارة ومحلّلاً ناقداً تارة أخرى، ناقلاً حياة السجن وما فيه من سجناء، سجانين، نمط المعيشة داخله والقوانين الجائرة التي تحكمه...

يقول "أحمد المرزوقي" في وصفه لزنزانتة: "باب الزنزانة من الحديد السميك، لونه رماديّ غامق، يحمل فوقه رقماً أعوج... في وسط الزنزانة نويضة مستطيلة تطلّ على الدهليز وتغلق من الخارج بمزلاق"<sup>2</sup>.

و يصف "محمد عادل فارس" عمّال السجن من خلال معاشته للكثير منهم وتنقله عبر السجون المختلفة في "سوريا": "الصفّة العامة لمعظم ضباط المخابرات والمحققين الذين

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: ديوان نبوءات الجائعين، ص: 16.

<sup>2</sup> - أحمد المرزوقي: تزمارات الزنزانة رقم 10، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2012، ص: 87.

عرفتهم أنهم قليلو الذكاء، ضعيفو الضمير، محدودو الثقافة، جفاة الطبع، منحردو الأخلاق أما السجانون والجلادون فيتسمون عادة بالغباء والمحدودية وبضعف الثقافة بل الأمية أحيانا<sup>1</sup>.

ويسهب في وصف المحقق الذي قبض عليه وشارك في تعذيبه حيث يقول: "أبو غياث إنه نفسه المحقق عبد القادر حيزة...متوسط الطول، ذو كرش كبيرة، أسمر اللون، يتأنق بملابسه ليبدو منظره مقبولا، وهو يحوز درجة متقدمة في الغباء وضعف الثقافة...، متسلق، متكسب، مرتزق، يروقه ممارسة التعذيب على الآخرين ليستكمل التحقيق ويرضي مشاعره السادية"<sup>2</sup>.

لا يمكن وصف حياة السجن دون تصوير أهمّ خاصية فيه وهي المعاناة لأنها تبدأ من أول اعتقال يطال السجن إلى تجاوزه عتبات السجن، وفي ذلك يفقد حياته، أهله، كرامته وحرية لتبدأ الكآبة بالتسلل إلى روحه وترافقها مرارة الألم وحرقة الأسى والظلم.

"كانت الحبوس ولا سيما المتأخرة على حال متناهية في السوء والإيذاء، يلقي فيها كثير من المحبوسين هلاكاً، لما فيها من الظلام والقذارة والوضع الصحي المتدهور، وكانت الروائح الخبيثة مناخاً ملازماً لها، وترتع فيها الحشرات وهوام الطير، وتورث المرض العضال والموت"<sup>3</sup>.

بالإضافة إلى معاناة السجن من هذه الأوضاع المزرية وتدهورها حدّ الموت في كثير من الأحيان، يعاني المسكين كذلك من وطأة التعذيب الوحشي بشتى أنواعه التي لا تمت للإنسانية بصلة، فالسجانون "يفركون أيديهم تلذذاً باقتراب ساعة البطش والتكيل"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عادل فارس: لأتهم قالوا لا، ناشرون بلا حدود، ط1، 2007، ص: 23 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 33-34.

<sup>3</sup> - أحمد مختار البزرة : الأسر والسجن في شعر العرب -تاريخ ودراسة-، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط1، 1985، ص: 123.

<sup>4</sup> - أحمد المرزوقي: ترميمات الزنزاة رقم 10، ص: 63.

## 2-4- الظلم والقهر:

كلّ الثورات والانتفاضات التي قامت في العالم بأسره هي نتيجة للظلم وانتهاك حياة الآخرين وهضم حقوقهم، والإحساس بالظلم نتيجة سلب الحريات وتكميم الأفواه يجعل من المظلوم ثائراً متمرداً على كلّ شيء لأنّه خسر أعزّ ما يملك.

والظلم أنواع ودرجات متفاوتة، فنجد الظلم السياسي والاجتماعي والفكري...، وكلّما شدّ حبل الظلم أكثر كان الانقلاب أكثر والانفجار أقوى، لأنّ فكرة زوال الضيم ونيل الحرية والاستقرار متجذّرة في قلوب المظلومين وعقولهم، فهو مضمحلّ متلاش لا محالة.

إنّ موضوع الظلم ليس مقتصرًا على الشعراء والأدباء المسجونين فقط "بل إنّه كان موضوعاً عامّاً تناوله معظم الشعراء، أمّا الذين سجنوا فكان وقع الظلم عليهم شديداً إلى الحدّ الذي جعل معاناتهم تفوق أيّ معاناة"<sup>1</sup>.

## 3-4 التّحدي والصّمود: (التّحريض السياسي)

ارتبط موضوع الظلم بموضوع التّحدي والتّحريض السياسيّ، فكلّ ما تعايشه الدّول العربيّة من تقهقر وشتات وفساد وظلم وجب القضاء عليه عن طريق تكاتف الجهود والوقوف وقفة رجل واحد صامد في وجه الموجات العاتية، لأنّ مصير الشعب مرتبط بمصير الوطن. إنّ الدّي يؤمن بمبدأ العدالة الإلهية في زمن الفساد، ويؤمن بمبدأ التّضحية في سبيل الوطن يدرك جيّداً أنّ السّجن قد يكون قدره المحتمّ في يوم من الأيام، ولكنّ الأجر به الصّمود لرفع كلّ مظاهر الطّغيان والاستبداد.

إنّ الفكرة الشّائعة لدى الشعب الواعي السّاعي لخدمة وطنه هي زوال الظلم في الأخير وتبدّد ليل السّجن مهما طال الأمر ورفع راية النّصر وتحقيق العدالة، ومن ثمّ كان لزاماً عليه تخيّر طرق النّضال المناسبة حسب عمل كلّ واحد وتوجّهه، فهذا الأديب المناضل يتّخذ من أدبه منبراً يحرض من خلاله شعبه الخائف المتعب، ويقوّيه بجرعات أمل وكفاح

<sup>1</sup> - سالم المعوش: شعر السّجون في الأدب العربيّ الحديث، ص: 54.

واجب، لبيث فيه العزيمة والقوة للمواصلة وليثبت أن السجن ما زاده إلاّ عنادا و صبرا ومقاومة، فالصمود هو الامتحان الأصعب داخل المعتقلات.

يقول "أيمن العتوم" في قصيدته "مشاعر في هوى الأردن" التي أظهر فيها صموده وإصراره على موقف الحق مهما كان الثمن:

و ألهبوا النار في صدري فصيرني

أفرّ من برد نيران لنيران

لأنني عشت لا أرضى بطاغية

ولا أدلّ لسمسار و خوآن

ولست أقبل صمتا سوف ينقذني

من بطش منتقم، أو ظلم سجان

لقد خلقت لأعليها مدوية

براعتي من طواغيت وطغيان<sup>1</sup>

واستطاع "مفدي زكريا" أن يتجاوز محنة السجن والتعذيب بكلّ كبرياء و أنفة، ساخرا

من السجن والسجان إذ يقول:

يا سجن بابك أم شدت به الحلق

أم خازن النار يكويني فأصطفق

من يحرق البحر لا يحرق به الغرق

على صياصيك لا هم ولا قلق

وظلمة الليل تغريني فأنطلق

هيهات يدركها أيّان تنزلق<sup>2</sup>

سيان عندي، مفتوح ومنغلق

أم السياط بها الجلاد يرعبنى

يا سجن، ما أنت؟ لا أخشاك تعرفني

أنام ملء عيوني غبطة ورضى

طوع الكرى و أناشيدي تهددني

والروح تهزأ بالسجان ساخرة

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: ديوان نبوءات الجائعين، ص: 37.

<sup>2</sup> - مفدي زكريا: الأهب المقدّس، ص: 25-26.

#### 4-4- حب الوطن والتغني بالحرية:

لَمَّا كانت السجون معروفة بالعنف المادي والمعنوي، جعل السجناء من الحرية الهدف المنشود والغاية المرجوة لأنهم "في زنازينهم غذاء للسجن، يتاجر بهم الظالم ويغذي جائعة جبروته على العباد، فيكون السجن بذلك ليس جدارا وسلاسل فحسب، وإنما أداة لخنق الحرية"<sup>1</sup>.

إنّ البحث عن الاستقلال واللهفة للتحرر مطلب كلّ إنسان مناضل، ولانتزاعها من مخالب العدو لابدّ من الإرادة القويّة المستميتة في سبيل تحقيقها وتحرير الوطن. هذه الأفكار هي ما تشبّع به الأدباء والشعراء لتغذية قرائحهم وإغرائهم على الإبداع أكثر خاصة في أصعب مراحل حياتهم.

ويظهر حبّ الوطن من خلال التمسك به ورفض كلّ مظاهر الإخلاء والتّهجير، يقول "محمود درويش" داعيا شعبه إلى التّشبّث بالوطن:

لو يذكر الزيتون غارسه

لصار الزيت دمعاً

سنظّل في الزيتون خضرته

وحول الأرض درعا

إنّا نحبّ الورد

لكنّا نحبّ القمح أكثر<sup>2</sup>

ويقول "توفيق زياد" في قصيدته "المستحيل" التي بيّن فيها منهج المقاومة لدى الشعب الفلسطينيّ المتمسك بأرضه وجذوره، الرافض للعدوان الصّهيوني والمتحدي له رغم ما يكابده من معاناة ومشقّة، لكنّه يستمد قوّته وصبره من هذا الانتماء المقدّس لأرض

<sup>1</sup> - سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربيّ الحديث، ص: 504.

<sup>2</sup> - إيمان المصاروة: أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، ص: 95.

فلسطين الشريفة ومن أشجار الزيتون المباركة التي تجمع الفلسطينيين وتوحد شملهم رغم  
الفرقة، فهم مستعدون للتضحية بدمائهم الطاهرة وبأرواحهم النقية لأجل وطنهم الحبيب:

أهون ألف مرّة

من أن تميتوا وميض فكرة

وتحرفونا عن طريقنا الذي اخترناه

قيد شعرة

كأنا عشرون مستحيل

في اللد والزملة والجليل

إننا هنا باقون

نحرس ظلّ التين والزيتون

إذا عطشنا نعصر الصّخرا

ونأكل التراب إن جعنا

ولا نرحل

وبالدم الزكي لا نبخل<sup>1</sup>

ويقول "أيمن العتوم" معبراً عن حبه لوطنه: "كان يوم الأربعاء وها أنا يا وطني  
آتيك على قدر، وأقبل ترابك الطاهر، وأنزوي ذرة في ثراك، وأعود إليك بكامل عنفواني،  
وبزهو شبابي الذي قضيت منه شطرا في السجن لأجلك... وطني يا أكبر من كل الأشياء،  
ويا أطول من كل القامات ويا أبقى من كل الجلادين ويا أنصع من كل التهم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - إيمان المصاروة: أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية، ص: 90.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط17، 2015، 85، ص: 334.

5-4- الشعور بالوحدة والاشتياق للأهل:

عاش المبدع في السجن عالماً جديداً، مشحوناً بالآلام والجروح لعظم المصيبة التي حلت به، إذ هيمنت الوحدة على حياته رغم وجود المساجين معه، فهو خائف، متوجس لا يثق بأي أحد، هذا الإحساس ولد فيه الشعور بالغربة فراح يتعرف رويداً رويداً على ذاته الجديدة التي لم يتشرف بلقائها من قبل.

إن أعماق السجن تدور في حلقة من الضياع والحيرة والتمزق الذاتي والعاطفي، وهذا الإحباط جعله ينصهر في عالم مفعم بالكآبة والحزن يستحضر فيه ذكرياته الماضية التي تتراءى أمامه فراشات متراقصة ليثخن بها عقله ويشبع قلبه المنفطر. يقول "أيمن العتوم" الذي ذاب شأوقاً لأهله خاصة وأنه تم القبض عليه غداً تاركاً أمه تنتظر عودته في البيت: "بعثوا بي إلى الطبيب في إحدى الليالي... لم أدر لماذا يفعلون ذلك؟ لا أشكو من شيء إذا سلمت من رماح الذكرى، ومن سكاكين الشوق فأنا بألف خير، ولا طبيب يدعي معالجتني منهما.."<sup>1</sup>.

ويذوب شوقاً إلى أمه التي لم يصبر على فراقها وبعث إليها بهذه القصيدة المعنونة بـ "أحن إليك" التي بث فيها أشواقه و أحزانه لابتعاده عنها إذ يقول فيها:

إلى الغالية الغالية... القريبة على بعد... أمي... أمي

أحن إليك

وأعلم أن المزار بعيد... بعيد

وأن الليالي طوال عليك

أحبك ها أنا أنقش مهما يطول البعاد

أحبك... فوق الذي شئت أن أكتبه

أحبك يا بهجة الروح...

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص: 85.

أحنّ إليك...

و أشتاق تقبيل كفك يا رائعة<sup>1</sup>

5- خصائص ومميزات أدب السجون:

5-1- الخصائص المعنوية (المضمون):

5-1-1- الصدق والإخلاص في التعبير:

لمّا كان السّجين ناقلاً لما يحدث داخل أسوار المعتقلات وخلف جدران القضبان والزّنازين، كان لزاماً عليه أن يكون على درجة كبيرة من الصدق و أن يتحرّى الإخلاص في كتاباته، لأنّه يروي أحداثاً لها علاقة وطيدة بالواقع وانعكاس لما عايشه، ولأنّ أدبه نافذة نطلّ من خلالها على عالم مرعب يكابد سكّانه نيران السّعير من أجل البقاء.

صدق الإحساس "لابدّ له أن يعتمد على نفاذ البصيرة و ألمعيّة الفكر، فإنّه لا سبيل إلى الإحساس الصادق والتّعبير الصادق إلّا إذا كان الكاتب مزوّداً بقوة الفهم للنفس، وبالقدرة على سبر أغوارها، وبالحنق في تصيّد خوالجها"<sup>2</sup>، فعليه الغوص في مكنونات النفس وفهمها حتى يستطيع الولوج إليها والتأثير فيها، إذ أنّ الأدب الخالد هو ذلك الأدب الإنسانيّ الصادق والهادف الذي يخدم الفرد والمجتمع.

إنّ الأدب الذي ينتجه هؤلاء المبدعون يؤرّخ لمرحلة من أبشع مراحل المواجهة مع الطّواغيت، لذا تصبح ذكريات خضيبية من قلب التّاريخ المكتوم، وصرخة ألم للأيّام السود في دنيا النّسيان، وصفحة ضمير طال سباته، ولسعة قلم استمدّ مداده من آهات السنّين العجاف فتلك المدوّنات و الآثار عبارة عن مذكّرات هي بدورها صفحات حمراء من دم قان<sup>3</sup>، تحاول

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: ديوان نبوءات الجائعين، ص: 51، 52.

<sup>2</sup>- شيرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لبعض النّماذج الأدبية، ص: 99.

<sup>3</sup>- فاطمة العراقي/علي العراقي: مذكّرات سجينّة صفحات حمراء من تاريخ منسي، ج1، دار الفقه، بغداد، (د،ط) ص: 07.

رصد الإرث المهين الذي تتوارثه الشعوب وهي في الغالب لا تدرك ظلّمته وتأثيره المأساوي في آفاق الرّوح، ولتكون بين يدي أجيال الحقّ الذي سيستردّ عاجلاً أم آجلاً<sup>1</sup>.

### 5-1-2- النزعة الإنسانيّة

إنّ الأساليب القمعية الشّديدة، وكبت الحرّيّات بأشكالها ساعدت على تثوير الوجدان الإنساني، وهذا ما بدا واضحاً في الإبداع الأدبي الذي أنتجه السّجين الأديب والذي كان يضحّ بالإنسانيّة، فالفنان المبدع هو الذي يستطيع الغوص في أعماق النّفس البشريّة التي هي ركيزة هذه الحياة.

صوّر أدباء السّجون غياب الجانب الإنساني لدى الكثيرين إن على مستوى السّلطة والسّجانين أو بين المساجين أنفسهم، لأنّ أغلبهم سعى لخدمة نفسه والبحث عن طريقة تؤهّله للهروب من هذا الواقع المؤلم على حساب الآخرين، كما تحدّثوا عن العلاقات الإنسانيّة التي ربطت بعضهم ببعض حتى بعد خروجهم واقتراقهم.

نلاحظ في رواية "سنة أولى سجن" هذه اللّفتة الإنسانيّة من السّجان إذ يقول "مصطفى أمين": " كان من بين وسائل التعذيب التي لجؤوا إليها أن صدر قرار بمنعي عن الأكل والشّرب، والحرمان من الأكل مؤلم ولكنّه محتمل، ولكنّ العطش عذاب لا يحتمل، وخاصّة أنّنا في أواخر شهر يوليو الحرارة شديدة قاسية وأنا مريض بالسّكر... الجوع لمدة ثلاثة أيّام أمر محتمل أمّا العطش فهو عذاب مثل ضرب السيّاط، كنت أسير في زنزانتني كالمجنون... وبينما أنا أترنّح رأيت باب الزّنزانة يفتح في هدوء، ورأيت يدا تمتد في ظلام الزّنزانة تحمل كوب ماء مثلّج... ورأيت حامل الكوب يضع إصبعه على فمه وكأنّه يقول لا تتكلّم...<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - فاطمة العراقي/علي العراقي: مذكرات سجيّنة صفحات حمراء من تاريخ منسي، ص: 44.

<sup>2</sup> - مصطفى أمين: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، (د،ط)، 1991، ص: 16.

### 5-1-3- صورة الموت والتوق إلى الحرية:

الموت حالة أساسية لدى الإنسان في كلّ زمان ومكان، إذ أننا نسلّم به ونتوقّعه لكننا لا نريد منه القدوم على عجل، نعترف بحتميّته ولكننا ننساه أو نتناساه في خضم أحداث حياتنا.

لاشكّ أنّ رائحة الموت كانت ولا زالت تتبعث من الزنازين ومن أدبيات السجون خاصة، لأنّ صورته لا تكاد تفارق السجّاء منذ ولوجهم عتبات السّجن الأولى، فمن التعذيب الجسدي إلى الحرمان من الأكل والشرب، ومن الأوبئة والأمراض العضال التي يجابهها، إلى المشنقة والإعدام، لذا فقد شغل الموت حيّزا كبيرا من فكره وتضاربت عواطفه اتجاه بين الفلق والفرع والخوف تارة وبين الحزن والفرح تارة أخرى.

إنّ التحوّل المفاجئ في حياة السّجين المظلوم -على وجه التّحديد- يجعله يشعر بدنوّ الموت منه رويدا رويدا، إنّه الموت البطيء الذي يبعث في نفسه إحساسا حادّا بالألم حدّ الاكتئاب إلّا من آمن بقضاء الله وأنّه القادر على كلّ شيء.

في ظلّ ما يعايشه السّجين من أرزاء ومأساة يرى الحرّية مطلبا صعب المنال، إذ لا يمكنه الهروب من الأقبية المصمّمة خصّيصا لهذا، فهو أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا الصّبر والصّمود والتّجلد في وجه مصيبيته أو تمّني الموت لأنّه سيتحرّر من قهره ومأساته ومن واقعه المرّ.

### 5-1-4- المأساة والمعاناة:

المأساة عند "أرسطو": "مسرحية ذات نهاية حزينة يحاكي فيها الممثلون الواقع وتنتهي بالموت الحقيقي للبطل مثيرة بذلك عاطفة الشّفقة مستهدفة التّطهير (catharsis)"<sup>1</sup>.  
"خلافًا لـ "أرسطو" لا يشترط "جان راسين" الموت الحقيقيّ للبطل في المأساة ويكفي عنده أن تكون المشاعر مستثارة والأشخاص بطوليون"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أرسطو: فن الشعر، تر: ابراهيم حمادة، دار هلا للنشر، القاهرة، (د،ط)، 2014، ص: 111.

<sup>2</sup> - عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، ص: 20.

من خلال هذين التعريفين ندرك أهمية العواطف في الأدب وضرورة استنارتها لتوصيل الهدف الحقيقي من وراء هذه الرسالة، ولكن مقصود "أرسطو" هو ما نسميه في العصر الحديث بـ: التراجيديا.

إنّ المأساة بمعناها الحديث تعني ذروة المعاناة والأحزان والآلام، وهذا ما يعايشه السجين عادة، إذ يتعرض لأقسى العذابات التي لا تخيل لإنسان، ويعايش كلّ فنون المعاناة والحرمان، فبالإضافة إلى استلاب حرّيته وأملكه تنتزع منه هويّته، كرامته وإنسانيته، فيعيش في عالم جديد غريبا عن طبيعته التي ألفها، لا يعرف هذا الإنسان الجديد الذي أصبح عليه. إنّ أقسى ما يتعرض له الإنسان حقاً: التعذيب اللفظي و النفسى، وهذا ما تفنّن فيه السجان طول فترة السجّن حتى نسي السجين أنّه إنسان بشري، وصدّم حين تأكّد من هوية السجان لأنّه رآه وحشاً من عالم آخر غير العالم الذي ينتمي إليه الإنسان.

لقد حرم السجين من أبسط الحقوق والحاجيات، يقول "محمد عادل فارس": "لقد مضى عليّ أكثر من أربع وعشرين ساعة في الاعتقال ولم يدخل إلى جسّمي لقمة طعام أو نقطة ماء، بل اكتفوا بالغذاء المذكور: الضرب والشتم والصدّات الكهربائية"<sup>1</sup>.

ويقول "أحمد المرزوقي": "أمّا فيما يخصّ اللباس فمعلوم أنّنا قدمنا إلى ترممات في ذروة الصّيف ولم نأخذ معنا من معتقل القنيطرة إلاّ بذلة السجّن الصّيفية التي كانت عبارة عن تّبّان وقميص... بدون أكمام وسترة وسروال خفيفين... وقد مرّت علينا ثلاثة أعوام قاومنا فيها البرد الشديّد بهذه الثياب التي تمزّقت منذ الشهور الأولى فلم يأبه المدير لذلك"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عادل فارس: لأتّهم قالوا لا، ص: 34.

<sup>2</sup> - أحمد المرزوقي: ترممات الزّنزانه رقم 10، ص: 87.

5-2- الخصاص الفنية والأسلوبية:

5-2-1- الوصف والتّصوير الفني:

للوّصف أهميّة بالغة في الأعمال الأدبية، إذ أنّه يكشف أحوال الشّخصيات الواردة خارجيًا وداخليًا، كما يتعمّق في وصف معالم الزّمان والمكان حيث تنشأ الأحداث والوقائع. لم يعتمد المبدع في أدب السجون الوصف الاعتيادي فحسب، بل راح يصوّر الشّخصيّات والأمكنة تصويرًا فوتوغرافيًا دقيقًا حتّى يخيّل للقارئ أنّه مرّ على هذه التّجارب وعاش السّجن معه، أو كأنّه جالس أمام تلفاز تتحرّك مشاهدته أمام الأعين، ولهذا "يؤدي التّصوير الفنّي دورًا مهمًّا في صياغة العمل الأدبي، إذ يحوّل المعاني الكامنة في الدّهن إلى صور واقعية ودلالات خاصة بأسلوب بليغ مشوّق، وتختصر تلك الصّور مجموعة من العبارات الحرفيّة، من خلال إظهار جانب من المعنى وإخفاء جانب، ما يثير شوق القارئ وفضوله ويدفعه إلى التأمّل ومحاولة الكشف عن المعنى"<sup>1</sup>، فالصورة إذا "إبداع خالص الدّهن ولا يمكن أن تنتج عن مجرد مقارنة "تشبيه"، إنها نتاج التقريب بين واقعتين متباعدين قليلا أو كثيرا، ويقدر ما تكون علاقات الواقعتين المقرّبتين بعيدة وصادقة بقدر ما تكون الصّورة قوية وقادرة على التّأثير الانفعالي ومحفّقة للشعر"<sup>2</sup>، أي أن قدرة الشاعر على الوصل بين صورتين متباينتين كلّ التّباين هو ما يكسبها حسنا ورونقا أكثر ذلك أن "الصّورة في الشّعر هي الشّكل الفنّي الذي تتّخذ الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللّغة وإمكاناتها في الدّلالة والتّركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والتّرادف والتّضاد والمقابلة والتّجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنّي، والألفاظ والعبارات هما مادة الشّاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفنّي، أو يرسم بها صورة شعرية، لذلك يتصل الحديث

<sup>1</sup> شيرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية، ص: 117.

<sup>2</sup> الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1990، ص: 16.

عن الصّورة الشعريّة ببناء العبارة<sup>1</sup>، فالصّورة الشعريّة تتبدى في العبارة أولاً وأخيراً، عليها يعتمد الكاتب ومنها ينطلق للتّخييل والتّصوير.

" إنّ الصّورة تحيل ملكة الشاعر الخيالية إلى صورة حية إذ تزيح الستار المادي عنه وتكشف عن روحه، وما يكمن وراء ظهره، فإذا كل ما نبصره جامداً أو ساكناً يتحرك بنفس إحساساتنا ومشاعرنا"<sup>2</sup>، هذه المشاعر التي تظهر خلجاتها وتدفقاتها من خلال الإبداع الفني وجب علينا الكشف عنها وتركيبها لتذوقها والإحساس بها.

إنّ الأديب بصدق وإنسانيته وتصويره الدقيق استنار المشاعر وهيج الوجدان ونفذ إلى أعماق القارئ، يبكي معه لحظة التّعذيب والمعاناة، يداوي جروحه ويكفكف دموعه بعدها، يواسيه في محنته وينتظر لحظة الإفراج عنه كالأمّ المتلهّفة للقاء وليدها.

### 5-2-2- العمق وتوظيف الرّمز:

استحدث الأديب أدوات جديدة للتّعبير عمّا أفكاره ومشاعره، ذلك أنّ متطلبات العصر قد تغيّرت، كما تغيّرت معها نمطيّة استقبال النّص الشعري، ومن هذه الأساليب المستحدثة: الغموض وتوظيف الرّمز.

شغف الأديب المعاصر -خاصّة- بالرّمز، وأعطى له دوراً كبيراً في تحمّل عبء التجربة الشعريّة التي بداخله ونقلها بأمانة إلى خارج عوالم الشاعر، لأنّه هو الوحيد القادر على تحطيم أطر اللّغة لينطلق في عالم من التّحليقات اللّانهائية، فيهب للنّص الخلود من خلال سياقه الذي تتحاور معه مخيلة القارئ لتنتج بعد ذلك دلالات ذات مرجعيات مختلفة<sup>3</sup>.

إنّ الرّمز محاولة لصياغة العلاقة اللّغوية بحيث تصبح قابلة للانتقال من المعنى الوضعي المحدّد إلى أفق مفتوح بغية الإيحاء، من المعلومة المتعارفة لدى المتلقي إلى الآفاق المجهولة، فهو يغيب ليعود ممثلئاً بالعوالم التي لم تقدر اللّغة المعتادة على رصدها،

<sup>1</sup> - عبد القادر القبط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، دط، ص: 392.

<sup>2</sup> - شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص: 229.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد قيطون: الرّمز والتّجديد المستحيل، مجلة مقاليد، العدد 01، جوان 2011، ص: 115.

مجتازا الواقع ليصبح أكثر صفاء وتجريدا، نأفرا من قيود المنطق وحدوده في التعبير والتصوير والمخيّل ثم التّدوق"<sup>1</sup>، " فالرّمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص، فالرّمز هو قبل كلّ شيء معنى خفيّ وإيحاء.... هو إيضاعة للوجود المعتم واندفاع نحو الجوهر"<sup>2</sup>.

إذا كان الرّمز يحمل كلّ هذه الدلالات التي يجب فكّ شفرتها، كان لابدّ من استدعاء قارئ مبدع كذلك، لأنّه سيتعامل مع أهمّ خاصية في النصّ الرّمزي هي: اللغة-الرّمز بالدرجة الأولى<sup>3</sup>، لأنّه سيشرع في تحطيم اللّغة الأولى الجاهزة متجاوزا قوالب الألفاظ المتداولة وصولا إلى استنطاق الحروف والعبارات وفضّ إيحاءات الأديب، ومنه فقد انتقلت اللّغة من وظيفتها التّواصلية الإيضاحية إلى وظيفة أخرى هي الوظيفة الإيحائية المحكمة، وللرّمز عدة أنواع منها: الرمز الديني، الرمز الطبيعي، الرمز الأسطوري، التاريخي، الأدبي.... وغيرها من الرّموز التي قد يتجاوزها الفنّان مبدعا رموزه الخاصة انطلاقا من تجاربه ووجدسه وعواطفه، وهذه الأخيرة واسعة ورحبة لأن الكاتب يجد فيها حيوية وحرية أكبر" ولهذا يكون رمزا خاصا به على الأغلب، لأنّه يختار عادة من بين آلاف الجزئيات التراثية والحياتية الصغيرة"<sup>4</sup>.

يلجأ الأديب إلى توظيف الرّمز في هذا النوع من الأدب على وجه التّحديد لأنّه مواكب لتطورات اللّغة في العصر الحديث وما أشرنا إليه سابقا، بالإضافة إلى أنّه يريد نقل الواقع وتبشيع صورة السّجن ورفع السّتار عن المخفي، غير أنّه لا يريد جلب المشاكل لنفسه وهذا ما تثبته "رحاب منى شاكر" في مقالها "السّجان في أدب السّجون" إذ تقول: "أول شيء يتعلّمه السّجين بعد قدومه إلى مبنى السّجن هو كيف ينبغي مخاطبة السّجان: سيّدي. من اللافت في أدب السّجون أنّه لا يتمّ ذكر أسماء السّجانين الحقيقيّة، أعتقد أنّه حتى لو

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد قيطون، المرجع السابق، ص: 125.

<sup>2</sup> - نسيم بوضلاح: تجلي الرمز في الشعر العربي الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، د،ط، 2000، ص: 84.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد قيطون: الرّمز والتّجديد المستحيل، ص: 120.

<sup>4</sup> - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، (د،ط)، 1977، ص: 209.

كان السّجين على علم باسم السّجان فهو لا يريد أن يجلب لنفسه المشاكل عبر الإفشاء به، فكلمًا كان النّص أكثر غموضًا حافظ الكاتب (السّجين السّابق) على أمنه أكثر<sup>1</sup>.

### 5-2-3- الإيقاع:

"إنّ البناء الروائي يحتاج إلى الإيقاع بغية إكمال التّوازن بين الرّأوي والجزئيات"<sup>2</sup>، فهو ليس زينة فقط بل تنسيقًا لجسد الرّواية وموسيقى له، وهو لازمة تتكرّر لتذكّر القارئ بالمؤثّر الرّئيس في البطل المحوري<sup>3</sup>.

فالإيقاع هو: "موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمها التّكرار، تكرار كلمات معيّنة أو متشابهة أو حرف أو حروف متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات صفة جرسية واحدة"<sup>4</sup>، وهو: "الفاعلية التي تنتقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية، تمنح التّتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معيّنة على عناصر الكتلة الحركية"<sup>5</sup>، ويبرز الإيقاع بصور كثيرة منها: الإيقاع الصّوتي والإيقاع المرئي وإيقاع الوزن في الشّعر، وبعد التّكرار من الإيقاع الصّوتي الذي نجد له صدى كبيرًا في أدب السّجون بصفة عامة، لأنّه يشير إلى القضايا التي تهّم السّجين والتي هو بصدد الدّفاع عنها، ويفصح عن ميولاته وأفكاره التي تجول في خاطره.

<sup>1</sup> - رحاب منى شاكّر: السّجان في أدب السّجون (1980-2008)، منشورات مجلّة الجمهورية الرّقمية، برلين، 2020، ص: 20.

<sup>2</sup> - سمر روجي الفيصل: البناء والرّوياً (مقاربات نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص: 214.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص: 214.

<sup>4</sup> - كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشّعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، ص: 228.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص: 230.

5-2-4- التناص:

"التناص في أبسط صورته يعني أن يتضمّن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي للأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي ليتشكّل نص جديد واحد متكامل"<sup>1</sup>، وبالتالي كانت النصوص امتدادا لبعضها البعض ، وهذه التقنية تضيف على النص الأدبي حيوية وعمقا.

<sup>1</sup> - أحمد الزّعيبي: التناص نظريا و تطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمّان، ط2، 2000، ص: 11.

الفصل الثّاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون  
حسيسها" "يا صاحبي السّجن"

- 1- الصّدق والإخلاص في التّعبير
- 2- النّزعة الإنسانيّة
- 3- صورة الموت والتّوق إلى الحرّيّة
- 4- المأساة والمعاناة

## 1- الصدق والإخلاص في التعبير:

يتميز أدب السجون بالواقعية وهذا ما أضفى له صدقا كبيرا، فهو في أغلب الأحيان شهادات حيّة وسير ذاتية لما عايشه السجّاء وراء القضبان بصورة أدبية وبأسلوب فني قصصي شيق، فهو يرفع الستار عن "ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، أو استغلاله أو استعباده موجّها الأدب نحو الدفاع بصدق وإحساس عن مصالح البشر أفرادا وشعبا وأمما، ليكون سلاحا مدافعا عن المظلومين لإزاحة العسف عن وجه الأرض، على أن يحمل روحا وحسّا وفكرا نبيلاً"<sup>1</sup>.

إنّ رواية السجّج العربي كانت تهدف إلى فضح الظلم والجباة، أصحاب السلطة والقوة الطاغية، الذين سحّروا كلّ طاقتهم القدرة للنيل من معارضيتهم بأقسى الوسائل والطرق، فنطقت أقلام المبدعين بالحق لتصوير الواقع المهين داخل حفر المهانة والموت، لتوعية الشباب - خاصة - حتى لا يقعوا بتلك المصائد والفخاخ التي يتقن العدو رصدها لهم لتثبيهم عن الدفاع عن قضاياهم المصيرية.

كان "أيمن العتوم" كغيره من أدباء هذا النوع صادقا في نقل الواقع المرير، مخلصا في كشف الحجاب عن الأشهر القليلة التي قضاها في السجّج مقارنة برفقائه الذين طالت محكوميتهم، وفي رصد الحياة اليومية التي يقضيها السجّجاء برفع الضباب الحائم حول أخبار السجون العربية بأن جاء بالخبر اليقين.

بعد أربع عشرة عاما من تجربة "العتوم" القاسية الظالمة حاول أن "يفوص في الماضي بتؤدة ويحسن الأناة في الاختيار من أجل أن يكون أمينا.....أمينا لأنّ التاريخ شاهد ولن يرحم المزيدين، ولن يغفر للكذبة"<sup>2</sup>، وحاول الدكتور "إياد أسعد" بدوره أن ينقل صفحة حمراء من التاريخ العربي المغيب في السجون السورية، إذ أنّ كلّ ما رواه ونقله

<sup>1</sup> - علي جابر المنصوري : النّقد الأدبي الحديث، عمان، دار عمّار، ط1، 2000، ص: 395.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص: 05 - 06.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

"صادق دون مواربة، حقيقي دون تمويه، وهو ليس الحقيقة الكاملة، فهو لا يساوي أكثر من عشرها".<sup>1</sup>

لقد بدا صدق "العتوم" مطلقاً من خلال التعبير اللغوي وتأثيره الكبير أثناء نقل التجربة التي مرّ بها السّجين بعيداً عن المبالغة، في قوالب لفظية قوية جداً ضجّت بالعنف، لكي تتناسب المقام الذي قيلت فيه، وأيّ مقام أشدّ عنفاً من تعذيب إنسان في أقبية التحقيق وحفر السّجون، فرغم بساطة المعاني ووضوحها، إلا أنّها ارتكزت على "لغة عنيفة، وألفاظ منتقاة من حقل السّجن والظلم والعذاب، فأثّرت تلك المعاني في الذات وتماهت الذات فيها، فهي ليست مجرد حروف مركّبة، أو تداول صوتيّ فحسب، بل هي تلك القوّة التي أسّست دلالة ومعرفة و أفكاراً علياً".<sup>2</sup>

وقد برز الصدق حيث برزت العواطف الإنسانيّة بكلّ تجلّياتها، خاصّة تلك العواطف التي رافقت السّجناء ساعات التعذيب، أو تلك الرّوابط الأخوية التي جمعت الرّفقاء فيما بينهم، وكذا أثناء نقل الحوارات وحلقات العلم والتّفسير وتحفيظ القرآن التي كانت تقام بين الفينة والأخرى داخل المهاجع، إضافة إلى قصص المسجونين والأحداث السياسيّة الحاصلة آنذاك، أو في لحظات التذكّر أو التأمّل التي يحلّق فيها السّجين إلى عوالمه الحالمة بعيداً عن غياهب السّجون التي تخنقه بإحكام قبضتها على عنقه وعدّ أنفاسه مستعدّة للانقراض عليه في أيّة لحظة.

من القصص والأخبار ما حدّثنا به الكاتب إذ يقول: "كانت المسافة كبيرة بين المهجعين، هي المسافة الفاصلة بين حياتين، حملت بطانيتي وأغراضي وتوجّهت إلى مهجع 6، حيث تلقّفتني عدد من الأصدقاء القدامى والجدد، من ذوي التوجّهات الفكرية والسياسية المختلفة... أول المستقبلين كان "عبدالله" ... أخذ منّي الأغراض، وكان قد

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 20، 2015، ص: 09.

<sup>2</sup> - ينظر: شيرين محمّد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية، نقلاً عن: منير الحافظ: مقامات العنف، ص: 171-172.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

هياً لي سريراً مميّزاً، قال وهو يرتّب البطّانية فوق السرير: أطلّ مكان لشاعرنا الكبير، شكرته على الحفاوة والترحيب، وكانت هذه بداية عهد جديد في هذا السجن<sup>1</sup>.

ويقول في مقطع آخر " (بيعة الإمام) هو الاسم الذي اختارته المخابرات لعدد من السجناء هنا، وهم يرفضون هذه التسمية، ويسمّون أنفسهم (جماعة التوحيد)، وهو على شاكلة من سمّوا أنفسهم (التكفير والهجرة) في مصر إبّان اغتيال الرئيس "أنور السادات"<sup>2</sup>، ليواصل قصّ حكايتهم مع السلطة، وكيف استطاعوا أخذ شرطيّ رهينة بين أيديهم وهم داخل السجن "استطاعت مجموعة (بيعة الإمام) أو (جماعة التوحيد) أن تأسر أحد أفراد الأمن، وحين علمت الإدارة بالأمر سارعت إلى إغلاق الشبّابيك المؤدّية إلى مهجعهم وطالبت بإطلاق سراح الشرطيّ المحتجز"<sup>3</sup> ليتصاعد الموقف تدريجياً ممّا اقتضى تدخّل مدير الأمن العام و استدعاء لواء الأمن (وهو ما يعرف بعناصر مكافحة الشغب بقيادة اللواء).

كما نلمس صدق التعبير ورقة المشاعر والأحاسيس حينما تحدّث عن الأم التي تحمي أبناءها حتّى وهم بعيدون عنها فهي " الحنان، الحنين، اللمسة الحانية، الدفء الوثير، البسمة الدائمة، خضرة الرّوح، سماء الأمل،..كلّها كانت انعكاساً لصورة الأمّ على مرآة الذاكرة"<sup>4</sup>، و كذا حينما كان يتذكّر الطّبيب " إيّاد أسعد" طفولته البريئة ومرابع اللّهُو في قريته "مثل أيّ طفل في القرية، نما عالمي بين أشجار ظليلة تحكي قصّة الذّاهبين، وبين حقول مورقة تروي فصولاً من حياة الرّاحلين.... كانت السّحب العابرة في الأيام المشمسة ترفعني إليها عبر خيالاتي..... وكانت الفراشات في فصل الربيع تغطّي كلّ شيء.... وكانت النّحل تهبّ عسلها للرّائحين والغادين عن طيب نفس....وكانت الورود تزكم أنوف الطّيور بروائحها الشّدّية..... وكنّت أجد بين أشجار الصّفصاف والسرّو

<sup>1</sup> - أيمن العتوم : يا صاحبي السجن، ص: 160.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 162.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 163 - 164.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 118.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

مساحة للرّكض السّاذج، وفي الينبوع الصّغير الذي يتفجّر من رأس الجبلا ويهوي إلى الوادي كنت أجد فرصة للاستحمام"<sup>1</sup>، وحين يطوف به خيال ابنته "لمياء" الذي لم يفارقه لحظة واحدة لأتّها: "كانت بهجة الدّنيا، أجلت شقاء الحياة إلى حين، ورسمت على جبيني قوس قرح في الصّيف والشتاء.... عندما بدأت تقول (بابا) اتّسعت آفاق الحياة وصارت أرحب وصرت أحبّها أكثر، وحين أعود من عملي مساء مرهقا حدّ الإعياء كانت تمسح عني كلّ تعب الدّنيا بنظرة واحدة أو خطوة واحدة باتّجاهي ضحكها كانت موسيقي ونظرتها كانت معيني وبسمتها كانت انطفاء آلامي.... تعلّمت أن ترتحلني، وتعلّمت أن أبسط لها ظهري كي تركبه"<sup>2</sup>، هكذا هو مفعول الأهل و الأحباء فلمستهم الحانية وكلماتهم الطّيبة وأصواتهم الرّقيقة تشحن القلوب بالأمل وتغذيها بالصّبر وتملؤها بالطّمأنينة والسّكينة الغائبة.

لقد ظهر الصّدق جليّا في هذا النّوع من الرّوايات لأنّه أشبه بسهم يخترق القلوب قبل العقول، تستقبله الأرواح وتحتضنه الجوارح، يخاطب الإنسان في إنسانيته، والمؤمن في ديانته، ليبحث عن الجوهر الحقيقي للإنسان وعن ماهيّته المغرقة في الغموض، وعن هدفه من الحياة، وهذا ما أضفى بعدا تأثيريا أبرز وأقوى.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 09.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم، المصدر نفسه، ص: 226.

2- النزعة الإنسانية:

"كم أضعنا أنفسنا في متاهة الحياة.... ولكننا التقينا بها مصادفة أو قدرا ونحن ننبش ذكرياتنا./.. إننا ما نحاول أن نتذكره فنعيش من جديد، ولأنّ الذكريات استعادة للإنسانية حين تغيب في ممرّ السنين اللّوحي خرجت من ذاتي العميقة لأروي لكم فصلا من حياتي"<sup>1</sup>. هكذا بدأ "أيمن العتوم" يخطّ تجربته في روايته "يا صاحبي السجن" التي اعتبرها تجربة إنسانية أو تختبر الإنسانية بالدرجة الأولى.

عملت سلطة السجن على تعذيب السّجناء أيّما تعذيب وعلى إذلالهم أيّما إذلال، فقد قصدوا ضرب كراماتهم عرض الحائط والقضاء على إنسانيتهم قدر ما استطاعوا، فما السّجين إلّا حيوان أو حشرة لا قيمة لها في دوامة الحياة لأنّ "فرصته في تذكّر إنسانيته معدومة"<sup>2</sup>، ولكنّ "جوع الإنسان إلى الطّعام أكثر إلحاحا من جوعه إلى الشّعور بإنسانيته، أنت تقطف وردة وتهديها لمن تحب من أجل أن يقول لك: شكرا كم هي جميلة... ومع أنّه مدح الوردة ولم يمدحك أنت، إلّا أنّك شعرت بإنسانيتك حين احترمها الآخر وقال لك شكرا.....إنّه الجوع إلى الإنسانية، إلى احترام الذات..."<sup>3</sup>، فكرامة الإنسان مبنية على مبدأ الاحترام المتبادل.

كما سبق وأوردنا في الفصل الأوّل النظري فإنّ النزعة الإنسانية لها شقّان في السّجن: الغياب والحضور، أمّا الغياب فسننحدث عنه أكثر في عنصر المأساة والمعاناة، وأمّا الحضور فسنركز فيه أكثر على العلاقات الإنسانية التي ربطت السّجناء فيما بينهم وهذا قلّما نجده داخل السجون، " فالعلائق في السّجن صعبة على التّشكّل، بسبب هامش الثقة المشكوك فيه ابتداء، ولكنّها إن تشكّلت فصعب أن تنفصم، لأنّها حينئذ تكون قد بنيت على الثّقة العمياء أوّلا، وبعيدا عن المصلحة العارضة ثانيا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص: 05.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 101.

<sup>3</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، 37.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 89.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

منح "العتوم" أهمية قصوى للعلاقة الإنسانية التي جمعت السّجناء فيما بينهم ولكنّه ركّز أكثر على الرّابطة الأخوية المتينة التي جمعتها مع أصدقائه الذين تعرّف عليهم في سجن "الجويده" ونقلوا معه إلى سجن "سواقة الصّحراوي" وهم: "عكرمة"، "علي" و"يوسف" حيث أخذ هؤلاء الثلاثة حيّزا كبيرا في الرواية حتى أطلق عليهم اسم: دائرة الحب "وهبطت على حلقة المجموعة هبوط الطّير على دائرة الحب... سأسمّيها من اليوم دائرة الحب"<sup>1</sup>. بالإضافة إلى مجموعة أخرى تشكّلت مع مرور الزمن كانوا عصابة واحدة لا تفرّقهم الأهواء والمصائب على اختلاف توجّهاتهم وانتماءاتهم حتى صاروا "يدا واحدة تنطق عن رأي واحد، وكان بقيّة السّجناء أشبه بقطيع يمشي في كلّ الاتجاهات ولا يعرف له اتجاه"<sup>2</sup>. أمّا في رواية "يسمعون حسيستها" فقد ظهرت النّزعة الإنسانية بشدّة وقت الأزمات وسلسلة الأمراض التي انتشرت داخل سجن "تدمر" فأحرقت الأخضر واليابس وراح أغلب السّجناء ممّن يمتلكون قلبا رحيمًا يضحّون بأجسادهم وأكلهم رحمة بالكبار والعاجزين "نعم، أصابتنا في الثّالث الأخير مجاعة حقيقية (من يستطع أن يعطي كسرة خبزه لمريض أو كبير في السنّ فليفعل) قال ذلك العميد، وجد تفانيا من الجميع، (قسطنطين) نفسه بقي ثلاثة أيّام لم يدخل بطنه شيء"<sup>3</sup>، بالرّغم من احتياج كلّ مسجون لوجبته الحقيرة غير أنّ "قسطنطين" من بين الكثيرين الذين آثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وحينما سطت الأوبئة الفتّاقة والمعدية على المهاجع وجدت الأطباء في الواجهة الأمامية لها يحاولون الأخذ بزمام الأمور، والسّيّطرة على الوضع بما تيسّر لهم من معدّات بسيطة "أرهقتني شهور المرض، كادت تفلّ من عزيّمتي، كان واجبي الإنساني والأخلاقي يدفعني إلى أن أخوض مستنقع الموت مع عدد من زملائي الأطبّاء المخلصين من أجل أن أنقذ ما تبقى من أرواح البؤساء في هذا المهجع"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن ص: 68.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 173.

<sup>3</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 119.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه: ص: 271.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" يا صاحبي السجن"

تداولت الأيام في سجن "الجريدة" وتعاقبت وسارت وفق خطّ نمطيّ واحد إلى أن ازدادت أوضاع السجن سوءا بعدها، وتمّ التضييق على السّجناء السياسيين-خاصة- كلّ مرّة، حتى لجؤوا إلى الإضراب عن الطّعام الذي دام أيّاماً طويلاً، عوقب فيه المضرّبون بنقلهم إلى الزّنازين الانفرادية أين ذاقوا مرارة الوحدة وكآبتها، وقساوة البرد ومشقّته.

كان "العنوم" أحد هؤلاء المضرّبين رفقة أصحابه في المهجع، ولحسن حظّه كانت نافذة زنزانه الانفرادية مطّلة على الطّريق الذي يؤدّي إلى مطبخ السّجن أين لاحظته أحد السّجناء يطلّ وقت الطّعام كلّ يوم فحاول مساعدته بما استطاع "أشار إلي من بعيد ففهمت أنّه يريد أن أنتبه إليه ولكنّه كان يتلفّت بحذر لئلا يراه الحراس من أفراد الشرطة، وعندما وصل قريبا من نافذة الزنزانه رأيته يهتف بي بصوت خفيض محاولاً أن يسمعي دون أن يسمعه الشّرطي: أيمن مد إيدك...خذ... وتفاجأت بقطعة كأنها حجر بني تتوجه صوب نافذة زنزاني.... ولما صارت قريبة مني مددت يدي لألتقطها وسرعان ما تبين لي أنها قالب صغير من التّمر المعجون...كم قدرت لذلك السّجين هذه المساعدة التاريخية، وكم أحببت فيه جرأته ونخوته"<sup>1</sup>، وكلّ هذه المواقف الرّافضة والإضرابات كان هدفها واحداً هو استرجاع بعض الكرامة و الإنسانية التي غيّبت لكثير من السّجناء ولكنهم تعودوا على الوضع دون تحريك أي ساكن، وهدم الأحرار لم يتقبّلوا هذا الوضع ولم يعتادوا عليه لأنهم خلقوا من طين الأنفة وسقوا بماء الشّموخ والكبرياء، حيث قال "العنوم" بعد نجاح الإضراب: " كانت بعض العيون تحمق في الفراغ... وبعضها ذاهلة لا تدرك أنّنا نفعل ذلك من أجل استعادة إنسانيتنا"<sup>2</sup>.

أمّا الموقف الوحيد الذي أظهر إنسانية السّجان في رواية "يسمعون حسيستها"، فكان الموقف الذي تعرّض له " إياد أسعد" أثناء صلاته إذ كانت الصّلاة ممنوعة على المساجين ولكنّه ظلّ محافظاً عليها حتّى وهو في أشدّ المحن حيث يقول: "وقفت مثل شبح على

<sup>1</sup>- أيمن العنوم: يا صاحبي السّجن، ص: 269-270.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص: 280.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

أطراف أصابعي وكبرت للصلاة كان قنطار من الخوف يتمشى في جوارحي لحظتها، وكانت مرة من التوجس طلّيت بنحاس الحذر ترتطم بقمعة رأسي، ومع ذلك قدرت أن أقرأ الفاتحة دون أن أخطئ فيها... وفي الركعة الثانية كانت الطمأنينة قد تمددت فوق غشاء القلب... رفعت صوتي قليلا وأنا أقرأ: (من المؤمنين...) لم أكد أنهي هاتين الكلمتين، حتى سمعت صوتا خلفي يكمل: (صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) أكمل العسكري الآية ولم يفعل شيئا، تراجع بعد ذلك إلى مكانه.. أكملت صلاتي كما أشتهي ... اقترب منّي العسكري بعدها وسألني عن اسمي.... فقال: أنا كنت مع المجموعة إليّ فتشت بيتك مشان القنابل والسلاح.... ما لقينا شي.... اطمئن.... لا تخاف.... خليك ثابت...<sup>1</sup>.

رغم بساطة هذا الموقف الإنساني إلا أنه كان ذا تأثير كبير على "إياد أسعد" حتّى اعتقد أنه ملاك مبعوث من السماء ليخفف عنه بعض جروحه النَّازفة وليواسيه في محنته المؤلمة وقدره المشؤوم.

هذه إذا بعض المواقف الإنسانية والأخلاقية التي يحتاج إليها الإنسان في حياته التي تعود عليها، فما أحوجها إليها حينما تضيق عليه الدنيا و تعركه المصائب وتقذفه الأمواج في متاهات الحياة حينما وفي دهاليز الموت أحيانا أخرى، فسعد من بقي من روحه فيض إنساني لم تغيّره المناصب والمراتب والأحوال.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 41-42.

### 3- صورة الموت والتّوق إلى الحرية:

خلفنا كي نكون أحرارا ولكي تصدح أرواحنا وأفواهنا بالحرية فـ"آه لولا توقنا إلى الحرية لفقدنا أصواتنا منذ زمن بعيد"<sup>1</sup>، ولكنّ هذه الحرية لن تدوم للأسف في زمن الفساد والضّياع الأخلاقي والصّراعات السياسية حول الحكم والسّلطة وهذا ما أكّده الدّكتور "إياد أسعد" بسؤاله: "هل تصنع الحرّية في غابة من قيود؟؟"<sup>2</sup>.

الحرّية وما أدراك ما الحرّية، " الحرّية لا يساويها شيء... يموت الإنسان من أجل الحرّية.... طعم الحرّية لا يمكن أن تجده في أيّ طعام آخر أو في حالة أخرى... الحرّية حياة.... من يسلب حرّيته فكأنما سلّبت حياته.... من يستبق الحياة يجد أنّ استبقائها عبوديّة، ولا يمكن أن توهب الحرّية إلّا من أجل حرّية يكون فيها الانعتاق كاملاً...."<sup>3</sup>، هي إذا الحرّية بأسمى معانيها تحلّق مبتعدة عن فضاءات السّجون القاتمة.

يعيش السّجناء وسط هالة مرعبة من غياب الإنسانية في نفوس السّجانين، ومن تدهور الأوضاع الصّحية، ما جعل الموت حاضرا معهم في كلّ لحظة " كان شبح القتل يخيم على المهجع، فبدا شاحبا تفرّ منه الحياة، وتهرب إلى خارجه، كان جافاً لا رواء فيه، وحين تقترب إلى أحدهم تباغتك رائحة القتل تفوح من بين الأشدّاق، وتتبعث من تحت الجفون الكحلية خانقة ممّية"<sup>4</sup>، " فالموت يراقبنا عن كثب، يتحين الفرصة للانقضاض علينا"<sup>5</sup>، ولكنّ صورة الموت لم تظهر بصورة كبيرة في رواية " يا صاحبي السّجن"، ربّما لأنّها سيرة ذاتية لم يقض صاحبها إلاّ أشهرا عديدة في السّجن، وربّما هذا عائد إلى الوجاهة والحصانة التي حظي بها السّجناء السّياسيون خاصّة أنّ والد "العتوم" كان من زعماء العشائر المعروفة، وربّما يرجع هذا إلى كيفية تعامل كلّ دولة مع

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 09.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 75.

<sup>3</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 340.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 213.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 251.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

سجنائها. والرأي الأخير له جانب كبير من الصحة، لأنّ الوقائع التي تحدّث عنها "العنوم" في روايته الثانية "يسمعون حسيستها" نقلًا عن السّجين السابق "إياد أسعد" في السّجون السّورية تظهر اختلاف المعاملة وصحة ما توصلنا إليه.

لقد خيم الموت في السّجون السّورية التي قضى فيها "إياد" عقابه بين "فرع الخطيب" و سجن "تدمر الصّحراوي"، هذا الشّبح الذي تراءى له منذ اللّحظة الأولى التي وطئت فيها أقدامه فرع التّحقيق، وراح يتربّص به "انتظرنى الوجع في كلّ المفترقات، وتربّص بي شبح الموت في كلّ آن"<sup>1</sup> ويلاحقه سبع عشرة عاما ولكنّه -بمشيئة الله- يخطئه في كلّ مرّة "كانت ليلة أمس قد قدّمتني إلى الموت الذي رفضني، هل يكون الموت متواطئا مع الجلّادين؟؟"<sup>2</sup>، كما أنّه شهد موت المئات بل الآلاف الذين لقوا حتفهم بسبب حفلات التّعذيب أو الإعدام أو الأمراض الفتّاكة حتّى تعبت روحه "لم نرتج من موت إلاّ لنستعدّ لموت جديد. كنّا في حضرة الموت مقيمين، ومن مائه عابّين، وتحت شجرته مستظّلين"<sup>3</sup>، وأيّ مرارة أفسى من العيش في حضرة الموت فلا أنت بالمستمتع بدنياك، ولا أنت في البرزخ تنتظر آخرتك، فهناك في سجن "تدمر" -خاصة- "جيء بك لتموت ألف مرّة قبل أن تموت الميته الأخيرة، مجيئك إلى هنا هو موت بالتّقسيط. ولكنّ كلّ دفعة من الموت لا تساوي جزءا منه، بل تساوي أضعافه"<sup>4</sup>، ومع هذه الصّورة المخيفة للسّجن والموت معا، أصبح السّجين يتمنّى جدارا يتكئ عليه أو زاوية يتمدّد فيها ليريح ظهره المقصوم وجسده المرهق ليستمتع بلحظات نومه قبل أن يأخذه الموت وبريحه من كلّ هذا العذاب "بم يحلم السّجين الذي يرى الموت يرقص أمامه في كلّ حين بأكثر من ذلك؟؟ بأكثر من جدار يسند إليه ظهره المتعب بعد رحلة مضنية طويلة. بأكثر من أرض يمدّد فوقها جسده بعد عناء أوقفه عن النّوم حتّى اشتهاه قبل أن يموت، غير أنّ هذه الأحلام البسيطة لم يكن بسيطا تحقيقها في سلطة

<sup>1</sup> - أيمن العنوم: يسمعون حسيستها، ص: 274.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 32.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 196.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 121.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" يا صاحبي السجن"

تحترف قتل كل شيء<sup>1</sup>، ورغم ذلك هيهات من الفشل والاستسلام فـ"كل موت سابق في ليل دامس لا بد له من حياة آتية في صبح مشرق"<sup>2</sup>.

إنّ مرارة السّجن واحدة والنّزوع فيه إلى الحرّية أمر منطقي، ولا يتحقّق ذلك في السّجن إلّا عن طريق رفع راية التّحدي بين الفينة والأخرى، كتعبير عن الإباء و الرفض وإبداء لحرية الرّأي أو يقينا بأنّ الحياة تعاش مرّة واحدة، فإذا فقد الإنسان حرّيته وكرامته بات كلّ شيء هيناً باطلاً لأنّ " الإنسان يعيش حراً مهما كان ثقل القيود التي ترسّف في الأبدان، ومهما كان علوّ الأسوار التي تحتجز وراءها الأبدان"<sup>3</sup>، هذا ما تشبّع به "العتوم" عن والده منذ نعومة أظافره "ما تعلّمته من أبي كان مزيجاً من الكبرياء السّامقة سموق النّخلة في الرّيح العاصفة.... ما تعلّمته من أبي ظلّ منقوشاً على صخرة التّحدي هازناً بكلّ الأمواج التي تفكّر أن تنال منه... على تلك الصّخرة تحطّمت كلّ محاولات الإذلال التي عمد السّجانون إلى إعمالها<sup>4</sup>، حيث يسعون إلى حيونة الإنسان ما استطاعوا، ولكن ليس لذلك صدى مع "أيمن" لأنّه قاوم في سجنه ما استطاع كي لا ينهزم في وجه هذه الرّياح العاتية بعد إصراره على الإضراب رفقة زملائه "زنانتي الجديدة مربّعة.... شبّاكها مفتوح كسابقتها، غير أنّه يمتدّ على طول الزّنانة تقريباً ممّا يعني برودة أشدّ... كانت الرّائحة المنبعثة من مكان قضاء الحاجة كريهة جدّاً، وقد أصابت الجنزرة صنبور الماء، فطعم الماء النّازل منها أشبه بطعم الصّدأ... أمّا جدران الزّنانة فكانت تعجّ بالرطوبة والبرودة.... تيقنت أنّهم يريدون إذلالني، وقتل عزيمتي، وإرغامي على ما يريدون.... دعهم يحلمون، فأنا مستعدّ أن أموت دون أن أحقّق من مطالبهم شيئاً"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 273.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 33.

<sup>3</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 231.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 231.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 273.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن"

لم يتهاون السجان مطلقاً في بعث سمومه القاتلة باحثاً في كلّ مرة عن فرائس ينقض عليها وقت جوعه للتّعذيب وتعطّشه للدّماء، ولكن يحدث أن يخرج المسجون عن صمته القاهر دفاعاً عن نفسه من ويلات الظلم القاهرة، ولكنّه للأسف سيلاقي ويلات العذاب بعدها، كنتيجة حتمية يقصد من ورائها الإذلال وفرض السيطرة على المساجين الآخرين كي يتّخذوه عبرة ودرسا لا ينسون مبادئه قطّ، فهيهات أن ينطق في الموقف الخطأ وهيهات أن تستقرّ كرامته وأنفته، فهو بين نارين أهونهما جحيم حارق، وهذا أحد المواقف التي كان "العتوم" شاهداً عليه حيث تركت أثراً عميقاً في نفسه بعد ذلك إذ يقول: " حدث مرّة أنّ شرطياً يبدو أنّه طالّت عليه إجازته، ولم ير أهله منذ فترة، فأراد أن يتسلّى، ليروح عن نفسه قليلاً كما يظنّ، توجّه نحو أحد السجّان لاتّهامه إذا اقتضى الأمر، كان هذا السجّان أحد أعرق السجّان، وأقدمهم غير أنّه لم يفد على هذا السجّان إلّا من عدّة أيّام لذلك لم يتعرّف عليه الشرطيّ بعد.... وما إن واجه الشرطيّ السجّان حتّى هوى بيده على وجهه ولطمه، صائحا فيه: يا خنيث، ثمّ أراد أن يتبعه بلطمّة أخرى، فلم يكن من السجّان إلّا أن أمسك يده، وشدّ عليها بقوة، وصاح بالشرطيّ: ليش بتضربني؟؟.... أمّا الشرطيّ فلم يتوقّع أن يردّ عليه سجّان مهما علا شأنه، فأصيب بالصدمة، وصار ينظر إلى يده التي يمسكها هذا السجّان، وإلى العيون التي تتشقى به.... فما كان منه إلّا أن نزع يده بقوة وهوى على السجّان مرّة أخرى ليلطمه، وفي هذه المرّة أمسكها السجّان ولواها بشدّة، فأنحنى الشرطيّ وهو يتلوى من الألم، وصاح به السجّان بنبرة تحدّ جارحة: قلتك... ليش بدك تضربني... شو عاملك أنا؟؟؟"<sup>1</sup>.

هذا الموقف ماهو إلّا صورة بسيطة عمّا يحدث داخل السجون وما يعانيه السجّان من طرف سجّانه، إذ يظهر الظلم بأبشع صورته فهل يرضى المسكين بالعقاب الجسدي

<sup>1</sup> - أيمن العتوم، يا صاحبي السجن ، ص: 213، 214.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

ليدافع عمّا تبقى من روحه ويحمي جسده؟؟ أم أنّه يرجع خائبا منكسرا يعيش المأساة طول حياته يكفكف أشلاء كرامته التي استلبت منه كرها.

بعدما نال السّجين المظلوم عقابه لأنّه ردّ الظلم عنه، التقاه "أيمن العتوم" ولكنّه هذه المرّة كان أكثر شراسة وإصرارا على حماية نفسه " رأيت اليوم صاحب الكرسي، مرّ بي وابتسم، كانت عيناه قد ازدادت ضيقا لكنني رأيتها تشعّ إصرارا وتحديا، حدجني بنظرة قاسية حين أحسّ أنّ شعورا بالإشفاق عليه يتملّكني"<sup>1</sup>، وبعد هذا الموقف أصبح هذا الطائر المجروح أكثر شراسة ولا مبالاة بالموت، لأنّه لا شيء أهون من أن يعيش المرء الذلّ والجنون فموته أنبل و أرحم إذ يقول: " سأكون مثل ذلك الذئب الذي وقع في الشّرك، لكنّه استطاع بقوّته أن ينقل الفخّ من مكانه، ويجرّه مع وتده إلى مسافة طويلة، غير أنّ الدّماء النّازفة وأثر جرّ الشّرك على التراب دلّنا عليه، وحين حوصر من قبل صيادي الذئاب قريبا من منحدر جبل... نظر إليهم بعينين مشعتين تفيضان تحديا، ثمّ قفز نحو الهاوية... مفضّلا أن يموت منتحرا... على أن يقع في الأسر"<sup>2</sup>.

ومن بين المواقف التي نقلت جرأة السّجناء كذلك الحوار الذي دار بين (جماعة التوحيد) واللواء -رغم أنّهم يعلمون التّبعات العقابية القاسية لهذا التّحدي- وما زاده حدّة أن نقله الكاتب بألفاظ عاميّة إذ يقول فيه:

- "طلعوا الشّرطي أحسنلكم
- ما رح يطلع
- إنتو عارفين شو بقدر أعمل؟؟؟
- بلّط البحر
- ولكوا انتو مش عارفين مين أنا
- ومين بدّك تكون يعني؟؟

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 131.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص: 132.

- أنا اللّواء....

- "....<sup>1</sup> (يتبعونها بشتيمة وهذا ما أثار غضب اللّواء).

لا يمكن أن نتحدّث عن التّحدي في رواية "يا صاحبي السّجن" دون أن نتحدّث عن أكبر وأخطر تحدّد قام به "أيمن العتوم" في غياهب السّجن، ضاربا قوانين السّلطة العليا و أوامر السّجن عرض الحائط، أيّ شجاعة هذه التي تشرب من مناهلها؟ و أيّ قوّة داخلية تمّلكته وغرف من منابعها؟ فقد وصل بتصرّفاته "إلى درجة كبيرة من اللامبالاة أو قل من التّحدي"<sup>2</sup>.

لقد حكم على "أيمن العتوم" بتهمة إطالة اللسان على الملك، بسبب قصيدة ألقاها في إحدى الأمسيات الشعريّة، وكان الإعلام حاضرا كعادته ممّا روج لها وذاع صيتها في الوطن بسرعة فائقة، حيث قال فيها:

أيّها السّادة مهلا لا تخافوا

إنّني أحفر قبري قبل موتي

داعيا لله أن يأخذني نحو السّماء

إنّ عيش المرء في ظلّ حكومات أبي جهل بلاء في بلاء<sup>3</sup>

رغم أنّ السّبب الرّئيس في دخول "العتوم" ظلمات السّجن هو لسانه وقلمه، بيد أنّه لم يتوانى للحظة عن قول الشّعْر وهو داخل السّجن، بل ويجاهر به في أمسيات ينظّمها مع بعض السّجناء، وقد لقي دعما كبيرا من والده الذي أبى إلا يرفع صوت ابنه بالحق:

- "ما التّهمة التي لفقوها لك؟

- تهمتنا معا

- .....

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 164 - 165.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص: 18.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص: 107.

- حبنا لأوطاننا يحبسنا يا أبي
- كن قويا
- ثقافتنا أصل مصيبتنا يا أبي
- كن أبيًا
- موسيقى الشعر تزعجهم يا أبي
- ابق صادحا. ولا تخش إلا الله. ولا تخف إلا جنوح القلب
- قصائدنا أعواد مشانقتنا
- بل هي أعواد مشانقهم
- أخاف من قلبي على قلبي
- وأين الله؟؟
- بم تملأ حقيبتني قبل أن يأخذوها منا؟؟
- بالعزيمة... بالحبّ.... بالإرادة... بالكلمة الحرة... بالثبات...<sup>1</sup>

لقد كان الشعر الهواء الذي يتنفسه الشاعر، وبه يرتشف معنى الحياة ليحلّق بعيدا عن عالمه الواقعي المؤلم القدر، ولا يخفى علينا أنّ ديوانه الشعريّ الموسوم بـ "نبوءات الجائعين" ماهو إلا حروف نازفة قالها منتقلا بين السجون، مبتدئا بأول مرحلة وهي الحفظ الغيبي بعد أن تتمخّض الحروف نصوصا شعرية، وفي إحدى اللقاءات الصحفية اعترف بأنّ لوالده الفضل الكبير وراء حفظ هذه القصائد من النسيان، لأنّه كان في كلّ زيارة أسبوعية يقوم بحفظ ما استطاع من أشعار ابنه ليدونها بعد رحيله مباشرة من السجن، أمّا الطّرق الأخرى فهي الاستعانة ببعض السّجناء أو من لهم صلة قرابة به بعد أن استطاع حيازة الأوراق والقلم.

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص: 88.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

ومن بين أكثر المخاطر والتحديات التي قام "العنوم" بها كانت هذه المناورة الذكيّة مع ابن عمّته الذي يعمل في سلك الأمن: " ذات يوم وأنا أهمّ بالخروج من الغرفة، بادرنى أحد أفراد الأمن بالتّوجه نحوي..... وعندما صار على مسافة قريبة جدّاً، صحت ملهوفاً، وسارع هو لاحتضاني، لقد كان ابن عمّتي... كنت قبل أيّام كتبت بعض القصائد، وأردت أن تصل إلى أهلي بأمان خارج السّجن... فأخبرته ما إذا كان يستطيع أن يأخذ منّي هذه القصائد، فقال لي: إنّ كاميرات المراقبة مسلّطة عليه الآن في هذه اللّحظة، وإنّه سيحاكم محاكمة عسكرية لتعاونه مع مجرم، وربّما يفقد وظيفته الأمنيّة. أطرق قليلاً ثمّ أردف: عندي فكرة، تظاهر أمام الكاميرات أنّك تعطيني نقوداً لأصرفها لك بفئة أقلّ، وأنا بدوري سأخرج محفظتي من جيبي متظاهراً بأنّي أردّ لك قيمة النّقود المصروفة. اتّفقتنا على ذلك، وبالفعل كنت قد طويت الأوراق بحجم النّقود، ومددت يدي إلى جيبي الخلفي، وفعل هو الشيء ذاته، أخرج محفظته وقلبها بأسلوب ذكيّ، ودستت فيها الأوراق، وهكذا تمتّ العمليّة تحت عدسات كاميرات المراقبة على أنّها تبادل لأوراق ماليّة<sup>1</sup>. لقد تغلّب الكاتب على خوفه ككلّ مرّة، وراح يناشد حلمه الضّائع في البحث عن شتى الطّرق التي يمارس من خلالها حريّته في الكتابة وتهريب هذه الإبداعات خارج أسوار السّجن.

كثيرة هي أساليب التّعذيب المدمي التي استخدمها السّجانون في سوريا- فرع الخطيب وسجن تدمر الصّحراوي-، وكثيراً ما سعوا إلى القضاء على المسجونين انتقاماً وتلذّذاً برؤية السّجين يلقف آخر أنفاسه، ورغم هذا امتلك المسجونون جرأة لا تخطر على بال أحد ربّما لأنّهم اعتادوا على وقع السيّاط والكيبلات تنهش أجسادهم الضّعيفة، وألفوا رؤية الدّماء تنبجس من عروقهم، ولكن هل يتعوّد الإنسان على العذاب حقّاً؟؟ وهل يألّف المهانة وغياب الإنسانيّة؟؟ أم أنّه أراد أن يبرئ روحه إلى سجنه فينتزعها منه ليرتاح من آلامه ومعاناته.

<sup>1</sup> - أيمن العنوم: يا صاحبي السجن، ص: 129.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن"

ومن المواقف البطولية التي شهدتها "فرع الخطيب" بطولة "محمود الفحّام" الذي أصاب المحققين والجلادين بالهستيريا من وراء تجلّده وتحديّيه لهم كلّ مرة، ففي إحدى المرّات أعطي مجموعة من الأوراق البيضاء وقلما ليعترف عن جماعة الإخوان التي كان منتميا لها ولكنّه واجه الموقف بكلّ سخرية وتحّدّ "لم يكتب (محمود) حرفا واحدا، مسح ببعض الورق دمه، وبصق على بعضه الآخر، وشرب ما تبقى له من الماء في الكوز، ونام على ظهره، ورفع إحدى رجليه بزاوية قائمة على الأرض، وعقد على أختها، وراح يتلو بعض الآيات في سرّه"، أيّ إيمان اعتقده "محمود"؟؟ وأيّ عزيمة جعلته موقنا أنّ ما يفعله هو التّصرف الصّائب؟؟ وقد ظلّ عازما على عدم الاعتراف حتى أزهقت روحه واستباح السّجانون دمه:

- "اعترف ولا..."

- ع شو...؟؟ ما عاد عندي شي اعترف عليه... أنا انتهيت.... إذا بدكن تدبحوني ... هاي أنا أدامكن.

- آخر فرصة حتّى تعترف بإرادتك...

- لن أعترف بإرادتي أو بغير إرادتي...

- ستعترف اليوم رغما عنك<sup>1</sup>.

ولكنّ هذا كان آخر تحدّ واجهه "محمود" لأنّه لم يطل به المكوث فقد نقل إلى سجن

آخر أين أسلم روحه إلى بارئها على حبل المشنقة.

ولا ننسى مواجهة "إياد" للمحقّقين بكلّ عزيمة، لامباليا بم سيحدث له، مؤمنا بما

سطّره الله له، فبعد أن دخل في غيبوبة تحت وطأة التّعذيب، وتمّ الاعتناء به جيّدا ليواصل

التّحقيق معه راح يدلي بتصريحاته واعترافاته دون خوف لأنّه أدرك في الأخير أنّ الموت

منهل لا بدّ من الاعتراف منه:

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يسمعون حسيها، ص: 85.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

- "- بسيطة يا سيدي... بسيطة... رح اعترف (قررت أن أعترف بطريقتي الخاصة)  
- أها... هات لنشوف.  
- الأسلحة بحوش بيتي ب(سقبا) تحت شجرة الجوز.....  
- والإخوان يا حيوان....  
- يا سيدي أنا ماني منن، وأنا ضدّ الإخوان أكثر منك... هادول حمير يا سيدي ما  
بيفهموا لسه....  
- وانت شو بدّك  
- أنا بدّيّاهن يكونوا إيد واحدة، وجيش واحد، وبعدين يهجموا عليكن، وورجيني وقتا  
إزا راح تصمدو معن دقيقة...  
- ولا الله يلغلك.... أنت أبلى منن...  
- يا سيدي المختصر: الإخوان حمير وانتو كفار مجرمين...  
- ولا... نحنا كفار؟؟?  
- إي سيدي....<sup>1</sup>

بعد أن أنهى الدكتور "إياد أسعد" فترة السّجن الأولى في "فرع الخطيب"، ورغم ما لاقاه من تعذيب وحشي فيه، إلّا أنّه غادر بصدر رحب متفائلاً أو لا مبالياً، متوجّهاً نحو العالم السفلي المجهول الذي لم يكن يسمع به حتى "فيا أيّها المقبلون على الجحيم تحلّوا بالموت"<sup>2</sup> دخله بقوّة ورياطة جأش كبيرة ولم يدرك حينها أنّه سيخرج منه حيّاً ولكن بعد أن يضيع شبابه و يتشوّه مستقبله ويفقد أحبّاءه وتخور قوّته. لقد ولجّه مصمّماً على العطاء ما استطاع رغم المصاعب، وهذا أوّل عمل قام به "وأقبلت على المهمّة التي يجب أن أقوم بها هنا قبل أن يرحّلوني من جديد، كنت قد عزمت على أن أعلم الجدد طرق المناورة والمراوغة مع

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 48-49.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص: 92.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيبها" "يا صاحبي السجن"

المحقق، وطرق الصبر على التعذيب... عشرات النصائح قلتها خلال شهر كامل قضيته بينهم.... عملت خلالها طبيبا عضويا ونفسيا... وفي هذا الشهر عملت مستشارا<sup>1</sup>.

ومن سلسلة التحديات كذلك، التحديات الجماعية التي كانت في السجن وذلك بممارسة ما كان ممنوعا من طرف إدارة السجن، خاصة إذا تعلق بالأمر الديني كآداء فريضة الصلاة التي كان يصليها المسجون بسريّة تامّة ثم انتقل الأمر إلى الصلاة الجماعية "بدأنا نصلي جماعة سرا حتى في الصلوات المجهرية، أين؟ في الفسحة التي أمام الحمامين، وهل سمحوا لكم بذلك؟ لا. سقّف الحمامين ليس به شرّاقة، ندخل سرا ونخرج سرا. كان شعورنا ونحن نفعلها مزيجا من مئة شعور متناقضة ومتداخلة، كان الخوف يقف في مواجهة الشجاعة: من يجرؤ على أن يخالف الأنظمة في جهنم؟ من لا يشك بأن ما نفعله هو أحد طرقنا الداهية إلى الجنون"<sup>2</sup>. دون أن ننسى التكبير الذي رافق في الغالب حفلات الإعدام والتعذيب، وما إن يسمعه الجلادون حتى يصابوا بالدّعر "بدأنا نركض.. برز عشرون وحشا من الزوايا، ركضوا خلفنا كمفترسين، وركضنا أمامهم كطرائد مذعورة، وانغرزت أنياب السّاط المغموسة بالماء المالح في جلودنا، وأكلت من لحمنا... في الصرّخات المتفطرة يزداد سعار آكلي لحوم البشر، رفع العميد الذي يتقدّمنا في هذه الحفلة السّادية بسبّابته إلى السّماء ففهمنا، بدأنا بالتكبير بدل الصّراخ. لم نكد نكمل دورتين في التكبير حول السّاحة حتى توقّفت دوامة التعذيب. ما من جلاد تحتمل أذنه صيحات التكبير لأكثر من دقيقتين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، ص: 59 - 60.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 148.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 184.

4-المأساة والمعاناة:

نكون قد أخطأنا إذا لم نقل أنّ أهمّ وأوضح خاصية في هذا النوع من الأدب تتمثل في المأساة والمعاناة، إذ أنّ شذى هذه الأخيرة يفوح قهرا وأسى بين طيات الكتب، فماذا نتوقع من حياة سجين زجّ به في غالب الأحيان ظلما إلى أقبية لا يصرّح بأنّها موجودة في الواقع، تفوح منها روائح التعذيب والدّماء الزكيّة من أرواح الشّهداء، كما تتبعث منها صور الموت انطلاقا من تدهور الأوضاع فيها.

"مجتمع السجن مجتمع تتدنّى فيه الكرامة إلى أقلّ مستوياتها، ليس من هدف للشرطي هنا إلا أن يحترف الطّرق التي يهين بها السّجناء"<sup>1</sup>، وأيّ مأساة أكثر من أن يفقد الإنسان كرامته وذاته بعد أن فقد حرّيته، ففي السّجن يعيش السّجين باحثا عن ذاته القديمة مستكشفا ذاته الجديدة التي لم يطمح يوما إلى الالتقاء بها والتّعرف عليها، "ليس سهلا أن أفقني لأسلم عليّ، بعد أن أنكرتني... لا أدري لماذا نتنكر لأنفسنا أحيانا"<sup>2</sup>، "يا إله السّماء السابعة: كم ناجيتك لكي تبقي من كينونتي التي انتزعوها من تحتي ثم تركتهم يستمرون في انتزاعي منّي حتّى لم أعد أنا.... أنا"<sup>3</sup>.

رغم أنّ "العنوم" لم يركّز على جانب المأساة في رواية "يا صاحبي السّجن" - كما ذكرنا آنفا- ولكننا سنقف عند بعض المشاهد التي عانى فيها السّجين انطلاقا من تجربته في أولّ أيام التّحقيق "ممنوع النّوم.... أول الغيث قطر ثمّ ينهمر... أردت أن أغفو.... الإنهاك النّفسي السّابق ضاعف من جوعي إلى النّوم، فاستلقيت... ما كدت أفعل ذلك حتّى صاح الحجيّ: وقّف يا...ممنوع النّوم... امتثلت... وقفت وأسندت جسمي إلى الحائط... بدأ النّعاس والتّعب يحكمان سيطرتهما عليّ، ارتخى جسدي فجأة، وسقطت على الأرض"<sup>4</sup>. ظلّ الكاتب ليلة كاملة معدّبا، ليس بالسيّاط والضّرب المدمي، بل بغريزة

<sup>1</sup>- أيمن العنوم: يا صاحبي السّجن، ص: 112.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص: 06.

<sup>3</sup>- أيمن العنوم: يسمعون حسيها، ص: 10.

<sup>4</sup>- أيمن العنوم: يا صاحبي السّجن، ص: 48-49.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن"

تعودنا على القيام بها لنشبع أجسادنا وعقولنا المثقلة بالهموم لترتاح، إنها غريزة النوم البسيطة التي تشتهيها في السجن وتكتشف مدى أهميتها في حياتك.

إنّ أولّ عذاب واجه الكاتب كان الحرمان الجسدي من النوم، ليليه الحرمان الأقسى وهو الحرمان النفسي، الذي تمثّل في ابتعاده عن الكتابة بشكل خاص، لأنّ الكتابة تمثّل حياة أخرى يعيشها المبدع ومنتقّسا يصبو إليه ليرتاح نفسيا، فهو محروم من حياة كان يحياها من خلال حروفه وإبداعاته.

أبداع "العتوم" في رسم المشاهد التي تحبس الأنفاس وتدمي القلوب حسرة وتفجعا، فنظهر من خلالها للإنسانية السجان وساديته المتعطّشة للون الدماء وآهات الآلام.

"في وسط السّاحة الفسيحة الخالية من كلّ شيء، لم نر غير السّجين وقد عريّ تماما إلّا من اللّباس الذي يستر عورته، وقد ربط إلى كرسيّ أراه لأوّل مرّة، كان كرسيّا غريبا مربّع القاعدة، وقوائمه كأنّها من حديد، وظهره قنطرة متحرّكة. ربطت أيدي السّجين بالكلبشات إلى ظهره.... وقيد رجلاه إلى قائمتي الكرسيّ، وبدا أنّه سيواجه مصيرا فظيحا. من حوله تجمع حوالي عشرة من أفراد الشّركة.... وقف مدير السّجن واضعا يديه على وسطه وأخذ يدور حول الكرسيّ، وهو يوجّه كلامه إلى الغرف المنتشرة عبر الأطراف: والله لأدبكووا كلكووا يا كلاب.... أشار المدير إلى أفراد الشّركة فهجموا عليه كأنّهم قطع من الدّئاب أطلقوا من عقالهم، ووجدوا الفرصة سانحة لممارسة حفلهم الدّموي. كلّ شرطي كان يحمل كرابجا من الأسلاك المعدنية، كان يهوي به على جسد السّجين بكلّ ما أوتي من قوّة: خذ يا.... أAAAAAAAAAAAAه... كان صياح السّجين يبلغ عنان السّماء... وكأنّ أحدا من الشّركة لا يسمع صياحه ولا استغاثاته المكلومة، ومع كلّ ضربة كرابج كنت أشعر أنّ قطعا من اللّحم تتطاير..."<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص: 115-116.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

أيّ حقّ امتلكه السّجان ليتخلّى ببساطة عن إنسانيته، أيّ مذهب وأيّ عقيدة هذه التي جعلته ينبو عن وحش مفترس لا يمتّ للإنسانية بصلة، و أيّ جرم فعله هذا السّجين ليستحقّ كلّ هذا العذاب والألم، هل يعقل أن يواجه المسجون هذا المصير لأنّه دافع عن بعض نفسه فقط؟؟ أم لأنّه حاول رفع الظلم عنه بأبسط الأمور؟؟.

أمّا المشهد الأكثر دموية و قساوة الذي شهده "العتوم" فحاولت اختصاره بذكر أكثر اللّقطات التراجيدية فيه: " وفي ساحة صغيرة مستطيلة، رأيت ثلاثة من الأحداث في الخامسة عشرة تقريبا من العمر، وقد وقفوا شبع عرايا، يمسون في أيديهم شفرات حادّة، ويقومون بحزّ رؤوسهم المحلوقة حرّاً عنيفا، يسير أحدهم بشفرته على رأسه من مؤخّرتة إلى المقدّمة، فيسيل خلف ذلك خيط من الدّم سرعان ما يفور ويفيض على يقيّة الرأس، ثمّ يعاود الكرة بتجريف رأسه من اليسار إلى اليمين وفي نقطة التقاطع ينبجس الدّم كنبعة ماء..... كانوا يصرخون بأعلى أصواتهم وهم يفعلون ذلك.... لم يكتف هؤلاء الأحداث بتشذيب رؤوسهم فانتقلوا إلى أجسادهم العارية، بدؤوا بممارسة طقوسهم على اللحم الغضّ هذه المرّة، تغوص الشفرة في اللّحم وتصطك الأسنان من شدّة الألم، فيقاومونه بمزيد من التّوغل فيحز اللّحم بتلك الشّفرات ويسيل الدّم كأنّما هو شلالات لا تعرف أين تصبّ.... نزفوا يومها دما كثيرا وصرخوا صراخا فاجعا..... غير أنّ هذا الجزء الذي شاهدته هو الجزء الأسهل من هذه الملحمة الطّقوسية، إذ أنّهم بعد أن نزفوا ثلاثة أرباع ما لديهم من دماء..... أصابهم الإعياء فخرّوا راعين على ركبهم.... وفي أقلّ من عشر ثوان هجم عليهم رجال الشرطة من كلّ صوب وكلبشوا أيديهم خلف ظهورهم ثم جاؤوا بدلاء ماء مذابة بالملح وصاروا يرشّونهم بها... غير أنّ صراخهم .... كان لا يهزّ الجدران فحسب بل كان يقتلعها من أساساتها"<sup>1</sup>. هل ما فعله السّجانون بهؤلاء المراهقين

<sup>1</sup> - أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، ص: 134 - 135.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" يا صاحبي السجن"

يمتّ بصلة إلى الإنسان وإلى تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف؟؟؟ لقد صدق "مصطفى أمين" حين قال: "يكبرون لله ويذبحون البشر"<sup>1</sup>.

اختصر "المعتوم" تجربته في السّجن وما عايشه من مأساة في نهاية روايته، إذ أنّه تيقّن من صحّة تسمية المكان الذي كان فيه بكلّ الأسماء التي لا تمثل الإنسان غير كلمة (السّجن) التي أطلقوها عليه، "فالسّجن ليس حقيقة، إنّهُ حلم، أكثر الأحلام سذاجة، بل هو أكثرها حموضة، لا... لم نكن مسجونين... السّجن خدعة باردة... أنا هنا في حديقة للحيوانات تدعى عند المغفلين: سجن سواقة... أنا في مصحّ نفسي ربّما؟ في حاوية بشرية ربّما؟ في زريبة للأنعام والدّواب ربّما؟ أين أنا؟؟ من يستطيع أن يفهمني ما اسم المكان الذي يحيط به سور حجري ويعامل فيه النّاس كالحوانات... هاتوا لي غير العلف لأحسّ أنني لست دابة... هاتوا لي شيئا من الحقيقة لأستعيد فكرتي بأنني كنت إنسانا..."<sup>2</sup>، فهذا الحدّ انعدمت الرّحمة والمشاعر الإنسانية وفقد السّجين من خلالها خاصيّة الأنسنة.

بمجرّد التّفظ بـ "يسمعون حسيستها" تتبادر إلى الأذهان صورة مرعبة هي صورة جهنّم ملتهبة تنفث حسيستها ولهبها المتطاير لتقول هل من مزيد. فإذا كانت هذه الصّورة من الغيبات السّماوية التي لم تحن بعد، فإنّ السّجون سارعت في تطبيق هذا المشهد بأبشع مظاهره. لا بدّ أن نعترف أنّ الحساب الإلهي ناتج عن ذنوب ارتكبتها الإنسان في حياته الدّنيوية وهذا وجه من أوجه عدل الله عزّوجلّ ورحمته بعباده، غير أنّ لهيب الوحوش البشرية راح يحرق كلّ شيء، البريء قبل المذنب، والعاجز قبل المقتدر والشّاب قبل العجوز.

<sup>1</sup> - مصطفى أمين: سنة أولى سجن، ص: 06.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 301.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن"

تركزت رواية "يسمعون حسيها" بصمة كبيرة في الأدب كغيرها من روايات أدب السجون التي راحت تفضح الأنظمة العربية الفاسدة المجرمة، نقل لنا فيها أحد المساجين الأبرياء صفحات موجزة من تاريخ دموي عنيف عايشه رفقة زملائه في السجن. كتب "العتوم" فأبدع، روى الحكايات فصدق، ورسم لنا مشاهد القسوة والتعذيب فأبكى وأدمى القلوب، ما وجدته في هذه الرواية من الأسى والمرارة والشدة والحقد لم أجده في كتاب آخر، ولم أتوقعه موجودا على أرض الواقع. لقد خلّنتي سمعت عن بعض أساليب التعذيب مع الشهيد الجزائري "أحمد زبانة" وزملائه من رفقاء التحرير أو ما تتقله بعض القنوات الصحفية على التلفاز، ولكنني تجرّعت صنوفها حتى النّمالة والبكاء المرّ كلما قرأت سطرا من سطور هذه الرواية. لقد نقلنا الطبيب المسجون "إياد أسعد" حيث الجحيم حقا. انقسمت الرواية من حيث المأساة والمعاناة إلى ثلاثة محاور رئيسية: مأساة التعذيب، مأساة الجنون ومأساة الأمراض والأوبئة، وكلّ هذه المجاري تصبّ في مستنقع واحد، إنّه مستنقع الموت بما تحمله هذه اللفظة من معان. كلّ الرواية كانت مأساة حقيقية فلا تكاد تخلو صفحة من مظاهرها، لذا سأحاول تخيّر بعض المقتطفات قصد الاختصار وعدم الإطالة.

### 1- مأساة التعذيب:

تفتنّ الجلادون والسجانون في إيجاد طرق جديدة للتعذيب لا تخطر ببال أحد ولا حتّى لإبليس، فراحوا يقضون الليالي في التخطيط والتفكير دون رحمة أو شفقة، متخلّين عن الجانب الإنساني، فلا هم بشر مثل البشر، ولا السجين إنسان، بل سعوا جاهدين إلى حيونته والقضاء على ذاته وتفكيره بأنّه كان يوما ما إنسانا "بل قد تيقّنت أنّهم يجلسون الليالي يخطّطون ويفكّرون، وربّما يتسابقون من يأتي بطريقة لم يسبقها إليها أحد، ومن تكون طريقته هي الأشنع والأكثر تأثيرا"<sup>1</sup>، ومن مشاهد التعذيب الوحشي التي نقلها "إياد

<sup>1</sup> - أيمن العتوم : يسمعون حسيها، ص: 244.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيستها" "يا صاحبي السجن"

أسعد" "جاؤوا بسلاسل من الحديد، أمسك اثنان منهما بيديّ، والآخران برجليّ، قريبا عظمتي الكاحل، وراحا يشدان العظمتين، كان الألم لا يوصف، اختلط العرق بالدم... لم يرحماني، ربطا رجليّ بالسلسلة، وشدا على العظم ثانياة فأحسست أنّ عظم الكاحل قد تهتك، وتفتت داخل الجلد..... وضعوني بعدها بالدولاب، وبدأت الحفلة المرعبة، انهماك اللذان عند رجلي في ضربي عليهما بمواسير حديدية، كانت الماسورة تهوي على الرجل فترضها بثقلها، وحين تنسحب صاعدة إلى الأعلى تخدش لحم باطن القدم بطرفها المسنن... بدأ الدم ينبعث ببطء، ثم ما لبثت قدماي أن انفتح كامل الجلد فيهما على القشرة التي تحتها فصار الدم يجري سيولا، أما الذي عند الرأس فأمسك بكيبيل مجدول وراح يهوي به على رأسي المتورمة من الحفلة الأولى، حتى إذا تعب تحوّل إلى الأمام.... أما صرخاتي فلم تكن تعبيرا عن هذا الألم.... كنت أصرخ لأسحب الهواء إلى الداخل حتى أحافظ على نفسي من الاختناق، وأفرغ طاقة العذاب في صوت الصرخة نفسها...<sup>1</sup>.

لم يستطع "إياد أسعد" الصمود في الأخير جرّاء سلسلة التعذيب التي تلقّاها في "فرع الخطيب" لذلك أراد أن يموت بعد أن زادت جرعات الألم و القسوة، فرفع راية الاستسلام ورضخ للموت مسلما إياه روحه، ولكنّ الموت أصبح بعيد المنال في هذه اللحظات العنيفة "تخلّيت في الجلدة المئتين ربّما عن سحب الهواء إلى الداخل، كنت أريد أن أستسلم، لا أريد مزيدا من الحياة بدا الموت في هذه اللحظة أمنية عزيزة المنال، تمنيت أن يخلّصني من هؤلاء الوحوش، تركت أنفاسي تتدحرج على حافة المواسير والكيبيلات وقلت للموت: أهلا وسهلا ومرحبا... غير أنّ الجلادين توقّفوا في تلك اللحظة...<sup>2</sup>.

لم تنته حفلة التعذيب عند هذا الحدّ بل ارتاحوا يوما واحدا ليقتادوه إلى الجحيم مجددا، وبعد أن جعلوه شاهدا على جريمة قتل ارتكبت أمامه لبثّ الرعب في نفسه يقول: "أوقفوني كما أوقفوا لضحية قبل قليل، توجه الثور نحوي، مدّ كفه، رأيتها كفّ غوريلا بشاعة

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 20 - 21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 21.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن"

وحجما، أمسك جبھتي، قدّمها باتّجاهه أولاً ثمّ هوى بها إلى الجدار بأسرع ما يستطيع... شعرت أنّ كسرا في جمجمتي قد انشقّ، صحت من أخصّ قدميّ حتى أنّي.... وهوى برأسي باتّجاه الحائط مرّة أخرى، فازداد طول الشقّ... وهوى برأسي مرّة ثالثة، فامتدّ الشقّ حتى كاد أن يتمّ دورته حول جمجمتي.... ارتخى جسدي بكامله فوقه ورحت في غيبوبة طويلة<sup>1</sup> دامت شهرين متواصلين ليستفيق بعدها في المسلخ العسكري كما فضّل أن يسمّيه. ومن أصعب المواقف التي أثبتت هوان الرّوح والإنسان في سجن "تدمر الصّحراوي" قصّة السّجين (مؤمن) الذي نودي باسمه فكان متيقّنا أنّه يوم الإفراج، غير أنه وجد نفسه في ساحة الإعدام أين المشانق منصوبة والحبال متدلّية لاستقبال الشّهداء، أراد أن يختار ميّته بنفسه فدفع العسكريّ من أمامه وأراد أن يأخذ سلاحه ليقتل به نفسه "صاحوا قبل أن يقبض على الرّشاش: كمين.... كمين.... تجمّع أكثر من خمسين حارسا، أمسكوا به من جديد، قيّدوه جيّدا، انكسرت إحدى يديه، استلّ أحد السّفاحين سكّينا كبيرة، ثبتها على عنقه وذبحه كما تذبح الشّيّاه، نفر الدّم في وجه السّفاح، رشّم وجهه ببعض البقع الحمراء الدّاكنة، مسحها بطرف كمّه وتابع عمليّة الذّبح كما لو كان يذبح دجاجة<sup>2</sup>، ألهدا الحدّ تجاوزت الوحوش البشرية حرمة الإنسان؟؟ لقد أسرف "سجن تدمر" في بعث الأرواح إلى خالقها دونما رحمة أو شفقة ما جعل منه موطننا للموت والسّعير.

### 2- مأساة الجنون:

إنّ "دور السّجون في الإصلاح ينطوي على مسؤوليات لا يمكن تجاهلها من النّاحية الأخلاقية، فنّمّة فارق بين عدم سعي السّجون لإصلاح الجناة، وعدم منح السّجناء احتياجاتهم الأساسية<sup>3</sup>، ولكنّ أغلب السّجون تناست وظيفتها الأساسية وراحت تسعى جاهدة لقتل الضّمير الإنساني الذي راح يتأرجح بين كفتي الموت.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، ص: 35 - 36.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه: ص: 114.

<sup>3</sup> - تيري كوبرز: الجنون في غياهب السّجون، تر: أميرة علي عبد الصّادق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، القاهرة، ط1، 2015، ص: 19.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيها" "يا صاحبي السجن"

يعيش السّجين ظروفًا قاسية جدًا مما يؤثر على سلامته النفسية والعقلية فقد أصبحت السّجون أكبر المصحات العقلية<sup>1</sup>، وقد واجه الكثير من سجناء "تدمر" هذا المصير المأساوي فقد "ظلّ الجنون يتحرّش بنا، قاومناه، حرّكناه عنّا بعيداً، ركلناه بأرجلنا حين داهمنا بجثته الثّقيلة بدأنا بالصّراخ في وجهه لكي يغادرنا، ثمّ تحوّلنا من الصّراخ إلى الرّجاء، رجوانه ونحن نبكي ألاّ ينشب مخالبه فينا... لكنّه مع ذلك لم يرحمنا، فسقط بعضنا فريسة بين يديه"<sup>2</sup>.

واصل الجنون اصطياذ ضحاياه في كلّ مرّة كالضّبع المخادع الذي يداهم فريسته منقضّاً عليها دونما عطف أو رحمة، متسلّياً وهو يغرز مخالبه في الأرواح والعقول، ومن المواقف التي شهدها الدكتور "إياد" ما يلي: "استمرّ الجوع ما يزيد عن شهرين، استفحل الأمر، وازداد الجلّادون في تعذيبنا بالجوع، من كان يملك إيماناً عميقاً حافظ على خلايا دماغه من التّلف، بعضنا جنّ أو كاد. أهدنا انقطع به حبل الصّبر فهوى، فرّ مثل جنّي، ركض باتجاه باب المهجع. طرّقه بشدّة وراح يصيح: بدّي اعترف... بدّي اعترف... فقد (غسان) عقله على الحقيقة، اختلجت عينا (أبو نذير) ..... وقّع حكم الإعدام، لم تطلع الشّمس من بعد على ذلك المسكين"<sup>3</sup>. فرغم ما عاناه من آلام وتعذيب أدّى به إلى الجنون الحتمي، إلّا أنّ الجلاد واصل جبروته وعصيانه بأن دفعه للمشنقة دفعا ليرتاح منه.

### 3- مأساة الأمراض والأوبئة:

لا شيء أقسى من أن ترى الموت يداهمك في كلّ لحظة، متحيّناً الفرصة ليطبق عليك بشدّة فتتكسر عظامك، غير أنّه يتركك تستعيد أنفاسك هائلاً، متوعّداً، عازماً على القضاء عليك في المرّة المقبلة، ولكنك تقف أمامه مذهولاً، مصدوماً لا تجد أين المفرّ، بل تضرب له موعداً آخر.

<sup>1</sup> - ينظر: تيري كوبرز: الجنون في غياهب السّجون، تر: أميرة علي عبد الصادق، ص: 19-20.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، ص: 229-230.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 120، 121.

## الفصل الثاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيبها" "يا صاحبي السجن"

هكذا كانت حياة السّجناء في "تدمر" مريرة، قاسية جداً، فما إن تتقضي أزمة حتى تحلّ بهم أزمة أخرى أشدّ فتكا ورعبا من سابقتها. لقد طالت محنة الأمراض في السّجن وحصدت معها آلاف السّجناء الذين ماتوا غدرا وقهرا جرّاء انعدام أدنى شروط الصّحة والنّظافة.

لقد تعاقبت مختلف الأمراض كالجرب، الكوليرا، التيفوئيد والسّل على السّجن وكاد هذا الأخير يقضي على "إياد" لولا مشيئة الله الذي رأف به ونجّاه ليشهد لحظة خروجه من هذا الجحيم، "صرخت صرخة يائس هارب من الموت والموت يتبعه: إنه السّل... إنه السّل... إنه السّل... جثم الرّعب على صدري جثوم الصّخرة في قعر السّيل... خلال عشرة أيّام كان المهجع عن بكرة أبيه قد وقع في مستنقع السّل... وكنت أشدهم بلاء... وصرنا في مهبّ الأذى كأننا نثارات من ورق أصفر ذرّت رماده في البیداء ریح سوداء... كان المهجع كلّه يعزف سيمفونية السّعال الخالدة..<sup>1</sup>، رغم أصوات السّعال المتعالية التي كانت تهزّ جدران المهجع غير أنّ الإدارة لم تحرّك ساكنا بل كانت تردّ توسّلاتهم واستغاثاتهم بسيل من الشّتائم، لينتقل المرض للسّجناء كلّهم، فبدؤوا يرتمون جثا ميّته، لم يتغيّر الوضع إلى أن أصيب أحد العساكر به حينها أطلقت صفارات الإنذار وجاء الأمر بالعزل والتّطهير.

"كنا منزوعين من الحياة... من أبسط مظاهرها"<sup>2</sup> هكذا عبّر "إياد أسعد" عن رحلته في السّجون السّورية، وما نقله إلينا ما هو إلاّ غيض من فيض من سلسلة التّعذيب اللاّ إنساني التي يعيشها السّجناء في كافّة أنحاء العالم، وما خفي كان أفسى وأعظم.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، ص: 274 - 375.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 94.

الفصل الثالث: الخصائص الفنيّة والأسلوبية في روايتي "يسمعون  
حسيسها" "يا صاحبي السّجن"

1- الوصف والتّصوير الفنيّ

2- العمق وتوظيف الرّمز

3- الإيقاع

4- التّناس

## 1- الوصف والتّصوير الفنّي:

عندما يكتب شاعر كـ"أيمن العتوم" رواية، يدخل إليها وهو يتأبّط ذراع لغة حسناء زاهية .. فخوراً متباهياً بها، يقف هناك مصطهلاً منسجماً يعزف على أوتارها المترفة، يرفع يداً..، فنحلق في فضاءاتها الفسيحة و خيالاتها الرحبة، يخفض يداً .. فيرينا عوالم مظلمة كئيبةً من الظلم و المعاناة الإنسانية متوتّرة متحفّزة هنا، هادئة رتيبة هناك، صارخة زاعقة هنا، رزينة راقية هناك، فأسلوبه ممتع وشيق و لغته فصيحة أنيقة، تجمع بين الشاعرية الرّاقية، وبين الواقعيّة التّفصيليّة، وقد استطاع الجمع بين هاتين الخاصيتين باقتدار، وفنية عالية، مع التّحكم ببراعة بمستويات اللّغة ومقاماتها. فقد جعلنا نبلع مرارة ما تضمّنته هذه الرّواية من قبح الفعل الإنساني، بجمال تشكيلاته اللّغوية و سلاسة أسلوبه، وبراعته في التّصوير، والشاعريّة المرهفة التي تحيط بالنّص، وتلقّه بحنان فائق<sup>1</sup>، فهو وصّاف من الدّرجة الرّفيعة، بارع في انتقاء الكلمات لتصلك سيلا دافقا من المشاعر، فكأنّك شاهد عيان على كلّ ما يروى ويكتب.

إنّ أهمّ ميزة في كتابات " العتوم " هي تلك الشّعريّة الرّائعة التي تسري في مفاصل النّص، و تتحكّم بإيقاعه و موسيقاه، الموغلة في أغوار النّفس البشريّة القابعة خلف الحواجز والحدود، فعندما تكون الحياة حاضرة -حتى ولو كانت حلما- نجد الجمل تتراقص، و تضجّ بفرح الحياة، وعندما يجثم الموت على صدر المشهد، نجد الكلمات ثقيلة والعبارات ساكنة مخيفة، و عندما تكون المعاناة سيّدة الموقف نجد الجمل لاهثة تعب<sup>2</sup> نازفة ألما و أسي، تنوء بما تحمل من معانٍ ثقال تتمطّى صهوة اللاإنسانية.

سعى "أيمن العتوم" إلى وصف بعض المظاهر والشّخصيات والبيئة والزّمان بشيء من التّفصيل، خاصّة ما تعلق بالأوصاف التي تدعم أهدافه وتؤيّد أفكاره، إذ راح يصف

<sup>1</sup> - ينظر: نجوى الصّافي: في "يسمعون حسيها" اللغة فارسة الرّواية، - <http://www.odabasham.net>، 2013/10/23،

2021/06/08.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

الشّخصيّات وصفا دقيقا متبينا هياتها الخارجيّة وأحوالها الداخليّة، فما هو يصف أشكال أصحابه في السّجن: "الأول الذي على يميني، كان ذا لحية سوداء تضربها الحمرة لتميل بها إلى الشّفرة، وشعره كثّ، يرجعه إلى الخلف، نحيلًا، عيناه كلون زيت الأرض المقدّسة قبل أن يحول عليها الحول، صوته دافئ، فيه نغمة رفيعة، يكاد يملك سمعنا بإيقاعها العذب، يحمل شهادة الماجستير، واختار له أبوه اسم (علي). الثاني بدا نحيلًا ضئيل الجسم أسمر الوجه مجعد الشّعر، عيناه سوداوان شهلان..... لا تفتأ أصابعه تتحرّك أمام ناظريك حين يحدثك، كأنما هي تهمّ بسيمفونية لموزارت وهو عرابها.... واختار له ذوه اسم(عكرمة)<sup>1</sup>، وهذا "إياد" يصف صديقه السّجين الذي مكث معه طويلا ونشأت بينهما علاقة صداقة وثيقة "العميد رجل يستحقّ المحبّة بعد أن استحقّ الشّفقة في اليوم السّابق، رجل في أواسط الخمسينات من عمره، أصلع إلّا من بعض الشّعر الذي وخطه الشّيب على جانبي رأسه، نحيل الجسم غير أنّه مشدود. في الجزء الأعلى من ظهره انحناءة خفيفة يمكن تمييزها أكثر إذا مشى، هادئ، يتبسّط في الكلام لمن يرتاح له، أسمر الوجه، صاف، رخم الصوت، واثق البسمة، كان أبا لكلّ من في الغرفة"<sup>2</sup>، من خلال هذا الوصف الدقيق تعرّفنا على شخصيات الرّواية و أدركنا ما يميّز كلّ واحدة عن الأخرى كأننا نعرفهم أو شاهدناهم في الحقيقة، حتّى التفاصيل الدّقيقة يظهرها بأسلوب سلس وممتع.

وراح يصف السّجون التي مكث فيها، أو ما نقله الدّكتور "إياد" له بعد خروجه حتّى تحسب أنّه كان مسجونًا فيها، فهو يحاول جاهدا تصوير وحشة المكان الذي كان قابعا فيه، وكيف يؤثّر ذلك بشكل كبير على نفسيّة المساجين "كان المستودع رحبا قياسا إلى الرّنازين الانفرادية...يمتدّ طولا لأكثر من ستّة أمتار، ويعرض أربعة، غير أنّه قديم ... أوّل دخولك من الباب يواجهك على يمينه الحمام وهو بعرض متر ونصف، وبهذا الطّول كذلك، به ماسورة معلّقة تسمّى مجازًا، وفي زاويته مقعدة لقضاء الحاجة، يلي جدار الحمام سرير

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 69.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 103.

حديدي، وفي صدر المستودع سريان، وعلى يسار الدّاخل كذلك سريان،. الأسرّة مصنوعة من الحديد الوطني...<sup>1</sup>، أمّا عن السّجون في رواية "يسمعون حسيستها" فقد كانت أشدّ وطأة، من ذلك ما صورّه بين طيّات صفحاته إذ يقول: "كان معتماً ومكتظّاً، ولا تصل إليه إلا عبر دهاليز وأقبية تمتدّ في أدراج تحت الأرض، وروائح العفن فيه تزكم الأنوف.... أمّا الجدران فقد اهترأ فيها كلّ شيء، بقايا الدّهان قد سقطت، وبقايا فتات الرّمّل قد تناثر، وبعض قضبان الحديد الصدئة قد بانّت"<sup>2</sup>، وهذا وصف آخر لإحدى الزّنازين الانفرادية التي قضى فيها وقتاً طويلاً أثناء التّحقيق "الزّنازاة التي استقرّ فيها ما تبقى من جسدي في اليوم الرابع أو الخامس أو السادس لست أدري، هي عبارة عن قبر مرفوع الخطاء، كانت الزّنازاة بعرض 70 أو 80 سم وبطول مترين، وبارتفاع مترين، تكاد جوانبها تضيق عن عرض الجسد، لك أن تبسط جسدك فيها دون يدك، أمّ يداك فيجب أن تبقى فوق صدرك.... أمّا إذا نمت على شقّ الأيمن فحينئذ يمكن أن تحظى ساقاك ببعض التّكوير البسيط لمحاولة النّوم"<sup>3</sup>، فبمجرّد قراءة هذا الوصف الدّقيق من مختلف الرّوايا، يضيق صدر القارئ فيأخذ نفساً عميقاً محاولاً استرجاع أنفاسه المختنقة بين ثنايا القبر السّجن الذي هو فيه، وهكذا مع كلّ سجن ينتقل إليه، ومع كلّ وجه جديد يراه، ينطلق الكاتب بأوصافه مصوّراً ما اختطفته عدسة مراقبته.

صوّر "العنوم" كذلك لحظات اعتقاله تصويراً خاصّاً، لما لها من أهميّة في تغيير مجرى حياته، خاصّة بعد اعتلائه سيّارة المخبرات، فراح يتفرّس بنهم ما يحيط به مودّعا إيّاه بروح جريحة، لأنّ صوتاً ما بداخله هتف له أنّه سيحرم طويلاً من هذا المكان الذي ترّى في كنفه وبين أحضانه "كانت عيوني تقبل الأرض، وأعمدة الرّوح تنير الطّريق، والسّماء تبتسم للتّراب، والأرض والطّريق والتّراب كلّها مجتمعة تشكّل الجسد الجديد

<sup>1</sup> - أيمن العنوم: يا صاحبي السّجن، ص: 71.

<sup>2</sup> - أيمن العنوم: يسمعون حسيستها، ص: 57.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 25.

لمحبوبتي القديمة"<sup>1</sup>، ولما نقل إلى سجن "الجويده" لاحقا، تأثر بابتعاده عن قريته، فاختلطت عليه مشاعر الخوف من المجهول، ومشاعر الحنين والاشتياق، ومشاعر التّحدي والصّمود "ليتني أستطيع اليوم استعادة تلك الأحاسيس التي تملكنتني في ذلك اليوم.... كان حافلا واستثنائيا.... ظلّت الأشجار ترافقنا على جانبي الطريق لفترة غير قليلة، لأول مرّة أهمّ في خيالي باحتضانها وتلمس أوراقها ورقة ورقة.... لم يتمكّن الرّشاشان المحيطان بي من كسر هذه الظّلال. فكّرت: أيكون ظلّ الشّجرة أقوى تأثيرا من الرّشاش. أجبت: نعم. كم مرّة تتغلب الوردة على السّكين..."<sup>2</sup>، نلاحظ من خلال هذه العبارات كيف جمع المبدع بين الأمور غير المعقولة، فلا علاقة منطقية بين الأشجار والرّشاش، ولا بين الوردة والسّكين ولكنه وظّفها بطريقة رمزيّة تحمل في طيّاتها معان عديدة.

ويبرع في تصوير جوعه أيام الإضراب في سجن "الجويده" والحوار الصّامت الذي دار بينهما في قالب فكاهي "بدأ الجوع يقفز في معدتي، لم يكن يريد إزعاجي على ما يبدو، كان فقط يريد أن يقول لي إنّه هنا، وإنني مهما حاولت أن أتجاهله أو أتناساه فإنّه لن يتجاهلني ولن يتناساني، ربتّ على كتفيه وطلبت منه أن يجلس بجانبني دون أن يصدر أيّ حركة أو إزعاج.... ففرص بجانبني كضفدع خضراء ولم ينق مرّة واحدة حتى بلغ بي التعب كلّ مبلغ فهويت إلى بطّانيتي كثمرّة جوز يابسة"<sup>3</sup>.

ومن أروع الصّور التي برع فيها الكاتب تصوير لحظات الصّلاة التي كانت تجمع المساجين المصلّين، فتفيض روحهم خشوعا وإيمانا، يزيحون بها هموما تتناقلت على كواهلهم وينسون فيها اعتبارات السّجن اللّئيم، غير أبهين بواقعهم المرير، فتسمو أرواحهم أين السّكينة ودار الحق، "قمنا وشعرت أنّ المهجع كلّ قام لقيامنا ووقفنا بين يدي الله متذلّلين تذلل العبد الخاطئ أمام سيّده، وكبّر (زكريا) للصّلاة فشعرت أنّ جدران السّجن بأكملة كبّرت معه

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 19.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 32.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 262.

وأحسست أنّ كلّ العاصين والمذنبين... قد كبروا معه، ثمّ بدأ صوته الشّجي يتغلغل في القلوب قبل الأسماع فلم يبق أحد الحاضرين إلّا يبكي... كانت جدران السّجن تبكي، لم يبق أحد في الحاضرين إلّا لانت مشاعره، وذابت جوارحه، حتّى الحجارة سالت على خديها الدّموع.... رفعا الأكفّ فرفعت القضبان معنا أكفّها وفتح الله على (زكريا) فأشجى وأبكى... ثمّ كان الهويّ الأخير أمام جبار السّموات والأرض، كانت الجباه تلتصق بالأرض في خضوع، فتملاً الأفتدة بالعزة و الرضا<sup>1</sup> و أيّ خضوع بين يدي الله إنّما هو رفعة في الإيمان ورفعة في المراتب والدرجات.

يقول في تعبير آخر شخّص فيه التّجربة، إذ جعل لها عنقا طويلا مطّلا على حديقة الحياة، ناصحا فيها القارئ بضرورة معرفة كيفية خياطة سبل حياته لاسترجاع ذاته من جديد، فالكلّ معرّض للتّيّه في ببداء الخطأ، ولكنّ الأجدر هو تصحيح مجرى الحياة والمضيّ قدما متعلّما من هفواته السّابقة، منصتا للسان الحياة "هاهو عنق التّجربة يمتدّ ليبصر ما خلف الكوة الملاصقة لباب العيش القهري، كنا نرفو حياتنا كما يخيظ الرّفاء الثّوب، واعترفنا جميعا أنّنا في البداية لم نملك خبرة أو دراية بكيف تخاط الحيوانات فلبسنا أثوابها كيفما اتّفق، غير أنّ الزّمن إذا كان رفيقا مخلصا فسيتبرّع بتعليمك طرائق العيش دون أن تطلب ذلك"<sup>2</sup>.

أمّا عن رواية "يسمعون حسيستها" فقد كثرت فيها الصّور الشّعريّة منتقلة بين الواقع والخيال، ومن أمثلة هذا البيان البديع وصفه لمدينة "دمشق" وهو جالس يتعشّى رفقة زملائه في مطعم على أعالي الجبال متخيلا إيّاها حوريّة أو جنيّة ساحرة أو امرأة فاتنة بمنتهى الجمال إذ يقول: "رأيت دمشق ببهائها الطّاعي تتمدّد على الأرض، مثل حوريّة ساحرة... وتنبسط مثل كروم العنب النّاضجة، عشقت دمشق يومها من كلّ قلبي، أحببتها مثل فاتنة تحلّ في سويداء القلب، وأنثى تستبدّ بمأخوذ العقل والفؤاد مثلي... ظللت أطوف بنظري

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 317 - 319.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 207.

على مساكنها من ذلك المكان الشّاهق، وهي تتهادى في أحيائها بهدوء، وتمتدّ في حاراتها بأمان.... كانت الأضواء تتمايل عبر بيوتها وأعمدتها.... كأنّها راقصة قادمة من السّماء"<sup>1</sup>.

لقد استطاع الكاتب أن يشعرنا بوطأة الزّمن الشديدة، وهو يعدّ الأيام و الأشهر و يحفر بأظافره أعداد الأيام و السّنوات في داخل دماغ القارئ، كما حفرها "إياد" على جدران سجنه فلا تقوته إشارة زمنيّة إلا و يسمّيها كعام الجوع و عام الرّمادة، فالزّمن يمرّ كسلحفاة ثقيلة الخطى، أو كتّين حضر من الأساطير الماضية ليحيا في سجن "تدمر" مستعيدا قوّته وشرره الذي ينسف لها و يعصف بكلّ من أمامه، فكلمّا ازداد عمر الزّمان اشتدّت ضرواته وفسوته، وزاد فتكه، حيث شبّهه "العتوم" بشيطان من لهب أو رحي تعرّكهم بثقالها لتحوّلهم إلى حبّات دقيق متناثر هنا وهناك "كان الزّمن في سجن تدمر شيطاناً ذا أربعة وعشرين قرناً يدور في مكانه كتلة من اللهب المنذرة باللّظى، كان رحي يمسك إبليس بمقودها، ويضعنا جميعاً تحت حجريها فيطجنا كحبّات صدئة سرعان ما تتسحق وتحوّل إلى دقيق، لم يكن الزّمن يدور،.... الزّمن غلاف يحيط بفضائنا المقهور هنا ونحن الذي نتخطّاه إلى وادي الموت... دفعنا بيد واحدة من حديد فسقطنا في هوة الغياب"<sup>2</sup>.

ثم يصوّر ضيق حلقات الزّمان و المكان على جسد "إياد" المنهك الذي أحكمت عليه قبضتها فعصرته ثم عجنته عجناً حتى صارت معه كتلة واحدة<sup>3</sup> : "غابت عني الوجوه في العتمات الكثيفة، بل غابت الحياة نفسها.... الظلمة تغشي كل شيء و تغشي نفسها؛ فتتداخل الظلمات في دوائر تتوسع كصدى حجر في بحيرة..يصنع عدداً لا نهائياً من هذه الدوائر، تحولت أصابعي إلى عيون، وأقدامي إلى مآق، و جسدي إلى مقل

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 53.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه: ص: 168 - 169.

<sup>3</sup> - نجوى الصّافي: في "يسمعون حسيستها" اللغة فارسة الزواية.

محدقة في الأديم الأسود. كان علي أن أضيف حاسة البصر إلى حاسة اللمس حتى أقتنع بوجودي في اللاوجود"<sup>1</sup>.

بعد سلسلة الإعدامات التي راح ضحيتها المئات، أسلم الدكتور "إياد سعد" أمره واعتبرهم شموعا مضيئة في زمن الظلمة والقمع، كلما ارتفعت روح إلى بارئها استيقظت من وهن وابتعدت عن جحيم كانت محترقة بلهيبه، فأصبح هؤلاء "الشهداء قناديل في عتمة خيبتنا، نحملها بأيدينا في الليالي الطويلة لتضيء لنا دروب التيه. كلما ارتفع أحدهم في الساحة ارتفعنا معه من هوة الضياع. كانت بطولاتهم جدارنا الذي أوينا إليه، وفي ظلاله استجرنا من الهجير، وتحت كرامته احتمينا من الهوان.... اليوم من يستطع أن يرتقي إلى عليائهم فيقف لنا من حكاياهم ما يكون شاهدا على زمن القمع والحيونة لأنظمة متوحشة حوّلت حياة البشر إلى جحيم، أنظمة كانت ومازالت تقول: أنا أو الدمار..."<sup>2</sup>.

جاءت تعبيرات "أيمن العتوم" اللغوية قوية، وصوره الفنية آسرة بديعة، متولدة عن مشاعر فياضة مسّت قلبه، وهزت روحه، وحركت قلمه ليخط لنا أجمل اللوحات الفنية التي ما فتئ يسقيها بمشارب حكمته في الحياة، ويلونها بمنابع عواطفه وأحاسيسه، فجاءت خلاصة خبرات متراكمة صقلتها موهبته الفذة، وغدّتها ثقافته الواسعة.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 349.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 137.

## 2- العمق وتوظيف الرّمز:

الرّمز هو "اللّغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة"<sup>1</sup>.

لم يوظّف "أيمن العتوم" الرّموز كثيرا إلا ما ورد غير مقصود في الغالب متناثرا هنا وهناك، ربّما لطبيعة المادة الأدبية التي بين أيدينا، فالكتاب أقلّ استخداما للرّموز في الروايات مقارنة بالشّعر.

ركّز "العتوم" أكثر على رمزية الحيوان، وما يحمله من مميّزات تنطبق على من أطلقه عليهم ومن أمثلة ذلك قوله: "نعم كنت هناك بين الذّئاب والضّباع والفهود والثّعالب والأسود العجزة"<sup>2</sup>، ويقول في مواضع أخرى: "أشاهد سرب الغزلان"<sup>3</sup>، "يبدو أنّنا نحتاج إلى زمن طويل لنصل إلى مرتبة الحمير"<sup>4</sup>، "تدافعنا كالغنم الهاربة من الذّئاب"<sup>5</sup>، "تساقطنا كالذّباب بعد العتمة، داستنا البساطير كالحشرات، وأعادونا كبهائم إلى الزّريبة"<sup>6</sup>، "العصفور القويّ الذي نقل بمنقاره الحبوب من البيادر في الجبال البعيدة، وأطعمها الآخرين، انقضّ عليه صقر فابتلعه بلقمة واحدة"<sup>7</sup> وتدلّ هذه الرّموز على:

- الذّئب: رمز لجميع الصّفات الذّميّة، فهو رمز للخديعة والمكر<sup>8</sup>.
- الحمار: رمز الصّبر والتّحمل، رخص الثّمّن، الغباء وعدم الفهم، وأحيانا ترمز إلى الحيلة والمكر لأنّ الإنسان لا يعاملها بحسن<sup>9</sup>.
- الضّبّع: يرمز الضّبّع إلى الحقارة والدّناءة، فهو حيوان مفترس، يتصيّد الفرصة للإيقاع بفريسته، يتغذى على فريسته وهي حيّة دون أين يرحمها، كما أنّه يتغذى

<sup>1</sup> - نسيمّة بوضّاح: تجلّي الرّمز في الشّعر العربيّ الجزائريّ المعاصر، ص: 84.

<sup>2</sup> - أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 156.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 261.

<sup>4</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، ص: 241.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص: 103.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص: 104.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص: 84.

<sup>8</sup> - مريم مركوم: رمزية الحيوان من خلال بعض الحكايات والأمثال المتداولة بمدينة أبران، ص: 05.

<sup>9</sup> - المرجع نفسه، ص: 06.

على الجيف التي تتركها الحيوانات الأخرى<sup>1</sup>.

- **الفهد:** يرمز إلى القوّة وروح القتال والعزلة لأنّه يفضّل البقاء وحيدا.<sup>2</sup>

- **الثعلب:** يرمز للخبث، المكر والخداع، الأمور الباطلة، الانتقام والدّهاء.

- **الأسد:** يرمز الأسد إلى القوّة، القيادة، الشجاعة، العظمة.

- **الغزالة:** ترمز إلى الجمال، التّناسق والرّشاقة.

- **الصقّر:** يرمز إلى القوّة والنظر الثّاقب والخطر الشّديد.

- **العصفور:** يرمز إلى الحياة، الأمل، الرّقة.

كلّ هذه الرّموز المتباينة دلّت على الشّخصيات التي التقاها الكاتب في السّجن، أو تعرّف عليه الطّبيب "إياد"، فاختلفت سماتهم بين الجميل والقبيح و بين الشّريف والوضيع ولكنها تركت أثرا في تجربتهما من قريب أو من بعيد.

وظّف الكاتب رمزا تاريخيا يتمثّل في "عجلون"، هذا المسرح الطّبيعي الذي اكتشف صلاح الدّين الأيوبي قيمته ومكانته فقد كتب على حجارها تاريخ الحرّية والشّهادة، بدماء لم تسل هدرا<sup>3</sup>.

لقد وصفها "العنوم" بأنّها "أمّ بارة بأبنائها..."<sup>4</sup>، إذ توحدت رؤية الشّاعر للوطن للوطن بصورة الأمّ، وهذا يدلّ على انتماء الشّاعر لوطنه الحبيب وتغلغل حبّه في داخله وتعلّقه به كما ينتمي الطّفل لأمّه ويتعلّق بها، فهو في بعدها طفل ضائع لا يعرف للطمأنينة قرارا ولا يعرف للحرية مكانا، واستحضر لنا هذا الرمز لينبش التاريخ ويبين لنا عراقة هذه المدينة التي مثّلت القلعة فيها شاهدا على الكثير من الفتوحات، فقد كانت حصنا منيعا في وجه العدو.

<sup>1</sup> - مقال بعنوان: لماذا أصبح حيوان الضبع رمز الحقايرة والدنوّ. <https://www.limaza.com//29/05/2021>

<sup>2</sup> - مقال بعنوان: معلومات عن الفهد. <https://www.mawdoo3.com//29/05/2021>

<sup>3</sup> - ينظر: أيمن العنوم: يا صاحبي السجن، ص: 08.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 09.

نجد أيضا رمز "العنقاء" حيث يقول: "أو يهبط من السماء كعنقاء بعد الرماد"<sup>1</sup> وهو رمز أسطوري يدلّ على الانبعاث وتجدد الحياة، وبالتالي انعقاد الأرض والإنسان من جبروت الاحتلال.

شكّلت مظاهر وعناصر الطبيعة روافد غنيّة لإشباع حاجات المبدع للتعبير عمّا يجول في جعبته من أفكار ومشاعر، وهذه المظاهر ترتبط ارتباطا وثيقا بعالم الطفولة الذي خلق ألفة بينه وبين الأمكنة والأزمنة، عالم أين الطهارة والبراءة محلّقة نحو الحياة الحاملة والخيالات الوردية والحرية المنشودة، و من أبرز الرموز الطبيعية التي وجد "العتوم" فيها دلالات وإيحاءات خصبة: الخريف، الصّخور، الوادي، الصّبار..

- "وقفت حارسا ليليا لشهر أكتوبر، شهر الخريف"<sup>2</sup>، أضاف الرّوائي لفظة الخريف وشحنها بكثير من الأحاسيس والمشاعر التي ترافق الإنسان في هذا الفصل من السنة، فهو يرمز إلى الكآبة وتغيّر الأحوال، وهو يعني في الأدب نهاية البشر في الحياة الدّنيا ويأسهم منها، ويأتي طاويا صفحة الربيع الذي يدلّ على الصّبا والشّباب، وصفحة الصّيف الدّال على النّضوج، ومع تأهّب الخريف لاستقبال الشّتاء تستريح الأشجار وتنثر ما عليها من أوراق لقلّة الضّوء وهذا ما يضفي ظلمة وميولا للكسل والفشل واليأس<sup>3</sup>.

- "تموت الوعول في الجبال الثلجية إذا لم ينبثق النّهر، نموت نحن إذا لم ينبثق الرّضى، نحاول الحياة، أسهل الأمور الاستسلام للموت.... شيء واحد منعني من أن أستسلم له، سيقولون: جبان، كان يمكن أن تسير على حافة الوادي المليء بالصّخور دون أن يسقط"<sup>4</sup>. تحمل لفظة "الوادي" في طياتها طاقات رمزية

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 117.

<sup>2</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 272.

<sup>3</sup>- ينظر: محمود الخواج: الخريف... هل يحمل دلالات سلبية رغم سحره، 2016/09/22. 2021/06/02.

[/https://www.24fm.ps/ar/news/1443015737](https://www.24fm.ps/ar/news/1443015737)

<sup>4</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 106.

توحي بالحياة والنّماء والخصب من جانب وبالاعتراب والاستلاب والحزن من جانب آخر، فيرمز إلى جريان الحياة والمخاطرة فيها. أمّا "الصّخور" فترمز إلى الحواجز والعقبات التي يواجهها الإنسان وإلى الأشواك التي تصدّ طريقه وتمنعه من المضيّ قدما نحو الحياة، بالإضافة إلى أنّها تدلّ على الهلاك فلا أحد سقط من حافة الوادي وارتطم بالصّخور والوديان إلّا واستقبله الموت محتضنا.

- " الصّبّار الذي ملأ كلّ يد تمتدّ نحوه بالشّوك، انحنت هامته في الصّحراء"<sup>1</sup>، يرمز الصّبّار عادة إلى التّجذّر و الصّبر والثّبات رغم ما يعصف به من رياح قويّة، كما يدلّ على قوّة التّحمّل وبالتّالي تشبّثه بالأرض التي اتّخذ منها موطنًا وتغلغل في جذورها، بالإضافة إلى الخطر الذي يمثّله من خلال أشواكه، فهي وسيلة دفاع قويّة لا يجبراً أحد على الاستخفاف بقوّتها وشراستها، إلّا أنّه رغم هذه الصّفات التي تثبت قوّته وصموده في وجه الحرارة والجفاف (المصاعب) انحنى في الأخير أمام الجمل لأنّه الحيوان الوحيد القادر على التّكيّف مع أشواكه دونما أدنى مشكلة، هذا هو "محمود الفحام" الفدائي الذي تحمّل كلّ صنوف العذاب ولم يعترف بأيّة كلمة تودي بأصحابه، لكنّه وقع في شرك العدو أخيرا بعد أن استغفله بكلّ بساطة واسئل منه المعلومة دون جهد يذكر، فقط لأنّه وثق بالشّخص الخطأ.

<sup>1</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيها، ص: 84.

### 3- الإيقاع:

استخدم الكاتب التّكرار، خاصّة تكرار الكلمة في نفس الجملة، ليّح على ما تريده الشخصية في كلّ مرة، فيكثر السّجين الذي جلد في السّاحة على تكرار عبارة "مشان الله" "مشان الله... مشان الله..... آآآآآآه خلص... خلص... بتحبوا الله... آآآآآآه... مشان الله"<sup>1</sup> التي يستعطف فيها السّجانين ليرأفوا بحاله، ويتوقفوا عن إيذائه، ويكرّر آهاته المتألّمة طالبا منهم التّوقف لأنه لم يعد باستطاعته المقاومة، ولكنّ كلّ ذلك دون جدوى.

وظف "العتوم" التّكرار كذلك حينما تدور برأسه مجموعة من الأسئلة التي لا يجد لها أيّة إجابة، إنّما هو إلحاح عن ضياعه وشعوره بالتيه ومثال ذلك: "لماذا كنت أقرأ؟ لا أدري.... لماذا كان هذا الجنون؟ لا أدري.... من أيّ شيء كنت أهرب وأنا أفعل ذلك؟ لا أدري..."<sup>2</sup>.

"يا إله السّماء: كم ناديتك لكي لا تتركني مع الوحوش، ثمّ لم يكن للوحوش الوالفة في دمي أيّ ارعواء، يا إله السّماء السّابعة: كم ناجيتك لكي تبقي على ما تبقى من كينونتي التي انتزعوها من تحت جلدي، ثمّ تركتهم يستمرّون في انتزاعي منّي حتّى لم أعد أنا.... أنا، أيّ حكمة تتجلّى لي لكي أعيها يا ربّ، والسّباع تغلّ في دمي ولا تكفّ عن شربي حتّى آخر قطرة من روحي، يا ربّ السّدرّة: حكمتك... يا ربّ المنتهى: لو كان المنتهى أن أنتهي قبل أن أنتهي قبل أن أروي عن القادمين من الكوكب الآخر لضاعت الحكمة إذا....، يا ربّ الوحوش والكائنات الغريبة والمخلوقات التي لا تشبه البشر: ساعدني لكي أقول ما ينبغي قوله، ساعدني لكي أنجح، ساعدني لكي تكفّ السيّاط...."<sup>3</sup>.

تكرّر لفظ الجلالة في هذا المقطع لوحده ستّ مرات بعبارات مختلفة: يا ربّ، يا إله السّماء، يا إله السّماء السّابعة، يا ربّ السّدرّة، يا ربّ المنتهى، يا ربّ الوحوش، مضافا إليه

<sup>1</sup> - أيمن العتوم : يا صاحبي السّجن، ص: 116.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 282.

<sup>3</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 10.

صيغة النداء، وكذا تكرار عبارة (ساعدني) وهذا يدلّ على توكلّ "إياد" على الله عزّوجلّ في محنته وفي كلّ مرحلة من مراحل التعذيب والحياة المريرة التي تجرّع منها كؤوس الذلّ والمهانة، والاستعانة به في كلّ أمر. تاركا هذا التكرار أثرا روحيا ودينيّا واضحا، متيقّنا أنّ ما مرّ به في حياته القاسية ما هو إلّا امتحان لصبره وتحمّله على الشدائد، وحكمة من الله عزّوجلّ لا يعلمها إلّا هو سبحانه، ويظهر ذلك جليّا في تكراره لعبارة "حكمة" ثلاث مرّات. كما يظهر المقطع وحشية جلّاديه الذين لم يتهاونوا في إذاقته أشدّ أنواع التعذيب رفقة زملائه، ووصفهم بأنهم وحوش حقيقية لا آدميون (الوحوش، الكائنات الغريبة، المخلوقات التي لا تشبه البشر) فكّلها مسميات تدلّ على انعدام الضمير وغياب الإنسانية، وكلّ ما فعلوه ما هو إلّا انتزاع لروحه وانتهاك لحرمة وحقّه في أبسط الحاجيات وهذا ظلم وخرق لقواعد البشرية، وقد عبّر عن هذا المعنى من خلال تكراره لعبارة (انتزعوها، انتزاعي)، فقد سلب منه كلّ شيء عنوة حتّى فقد ذاته و أناه.

ويظهر إيمانه الكبير أيضا بجبروت الله عزّوجلّ وقدرته، وأنّ الله على كلّ شيء قدير مهما فعل البشر أو من يسمّون أنفسهم بهذا الاسم، فكلّ بداية نهاية محتومة، ولكلّ ظلم تحرّر، ولكلّ سجن انعتاق في الأخير، لقد سلّم أمره لربّ السماوات وأدرك أنّ لا منجى إلّا بقدرته ورحمته إذ يقول: "الله أكبر... الله أكبر تعالى هذا النداء من مآذن تدمر... الله أكبر... الله أكبر... إنّها الكلمات التي تملأ الرّوح بشجن التّائقين إلى السّماء... الله أكبر... الله أكبر.. لتطمئنّ النفوس المعذّبة.. ولترتاح القلوب المتعبة.. ولتستقرّ الأرواح المضطربة، ولتسكن الجوارح المقلّقة، ولتهدأ الأعصاب المرتجفة، ولتوقن الأجساد الممزّعة بأنّ هناك منتقما عند بابه تخرّ الجبابرة، الله أكبر... الله أكبر... يتعالى شفيفا قادمًا من الغيوب الإلهية...، الله أكبر... الله أكبر... من كلّ جلادينا، الله أكبر... الله أكبر... رجاء

لا ينقطع<sup>1</sup>، فما أمرنا إلا بيد مالك السموات والأرض تعالى، وما قدرنا إلا بأمره، فخاب من اتخذ غير الله معينا.

"في الليالي التي كان يعصف بي فيها الهمّ والبرد، كنت أتدثر بالذكريات لعلها تبعث قليلا من الدّفء في الأوصال.... بعض الصّور لم أستطع التّغلب عليها إلى اليوم، لم يكن هناك من سبيل إلى محوها من الذاكرة، أو استبدال ذكريات عذبة بها...كيف يسير العالم الخارجي؟؟ هل مازال يتابع لهائه الطّبيعيّ خلف ساقية الزّمن؟ أم أنّه تجمّد منذ تمّوز كما حدث معي...؟؟ وهل الزّمن الذي أتحدّث عنه زمني أم زمنهم؟؟ إذا كان زمني فلا يهمّ سواي، وإذا كان زمنهم فلا يعبؤون بما يخصّني..."<sup>2</sup>.

لقد أولى "أيمن العتوم" نقلا عن السّجين "إياد أسعد" (الزّمن) أهميّة بالغة، حيث كرّره مرّات عديدة، تارة بمعنى الزّمن الماضي (الذكريات، الصّور) وتارة بمعنى الوقت الحاضر، إذ نرى سيطرة الذكريات الجميلة عليه، لأنّه بقي وحيدا في عتمته ومعاناته، فكان عليه أن يجعل منها زاده في حاضره الأليم، فراح يتذكّر ابنته "لمياء" خاصّة، لأنّه مشتاق لها ومتعلّق بها، متألّم لفراقها، ولأجلها استطاع المقاومة والثبات منتظرا لحظة الفرج بشدّة "كم صار عمرك يا ابنتي...يا ابنتي كيف صار لون عينيك؟...يا ابنتي...أيّ ثوب تلبسين...يا ابنتي إنني على أمل أنّ أمك حدّثتك عني.... يا ابنتي ما لون الشّكّلة التي تضعينها على رأسك...؟..يا ابنتي.. ماذا أقول؟؟"<sup>3</sup>. لقد ركّز عليه الكاتب لأنّه كان بالنسبة للسّجين طيفا ضبابيّا يمرّ متناقلا متباطئا، فيه فقد حرّيته ونفسه وكرامته وشبابه، هذا الزّمن الذي مرّ عليه كقرون وبسببه ضاع قرابة العقدين من عمره هباء منثورا.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، 334 - 335.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 55 - 56.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 227 - 22.

تكرّرت في رواية "يسمعون حسيستها" حقائق من النّص القرآني - وهذا ما سنعرّج عليه بالتّفصيل في جزء التّناس-، لتدلّ على ارتباط الكاتب "أيمن العتوم" بالدين الإسلامي وبالقصص القرآني من ناحية وعلى معان قاسية من ناحية أخرى.

"هل نحن نحن الذين كنّا هناك أم كانوا غيرنا؟؟ ما زلت إلى اليوم أشكّ بأننا خرجنا منه أحياء، وأنّ الجلود التي تتوزّع على هيئاتنا هي جلودنا، لطالما داهمني خاطر عميق بأنهم بدّلوا لنا جلودنا"<sup>1</sup>.

"رأيت الموت كلّ يوم، كلّ ساعة، كلّ دقيقة، وعاشته مع الآلاف الذين بدّلت جلودهم لطول مذاقوا من العذاب"<sup>2</sup>.

"كان ذلك في عام 1996، وكنا قد أكلنا من جلودنا ما تبقى لكي نبذلها"<sup>3</sup>.

كرّر الشّعْر كلّ مرّة قصة تبادل الجلود بجلود أخرى، وهذا ما يحدث للكفّار في جهنّم، إذ يبدهم الله جلودا غير جلودهم ليذوقوا العذاب.

استعان "العتوم" بهذا المصير لبيّن لنا مدى قسوة التعذيب الذي تعرّض له السّجناء في "تدمر" -خاصّة-، إذ أنّ الإنسان لا يستطيع الصّبر عليها فكأنّه في كلّ مرّة يغيّر جلده لأنّ الجلد الأول لم يعد صالحا فقد تعرّض للتآف والفساد، ومن ناحية أخرى يظهر لنا الجحيم الذي كان "إياد" قابعا فيه ووحشية الجلّادين وساديّتهم وتعطّشهم لرؤية الدّماء وسماع صرخات المتألّمين وأنين أرواحهم لحظة خروجها من الأجساد، "فحينما تصرخ الضّحية أمام الجلّاد والطّاغية، فهذا الصّراخ يكون بمثابة مقاومة لبطش الجلّاد، ولكنّ هذا الجلاد يستمتع بسماع هذا الصّراخ وتأمله"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 92.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 262.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص: 272.

<sup>4</sup> - شعبان يوسف: أدب السّجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د،ط)، 2014، ص: 99.

#### 4-التّناص:

إنّ لغة "العتوم" لغة تتنفس قرآناً، بتلك التّناصات المبهرة، والتضمينات الجميلة التي يوزعها بأسلوب يخدم الفكرة و يناسب العرض؛ فقد تعانقت التّضمينات القرآنية مع البنية اللّغوية، وتداخلت بسلاسة وانسجام دون إقحام أو اصطناع<sup>1</sup>.

إنّ القارئ لكتابات "أيمن العتوم" يدرك جلياً مدى تأثره بالقرآن الكريم، ولعلّ سبب ذلك هو محاولة التأثير في القارئ من خلال لمس الوتر الدّيني عنده، نظراً للأهميّة التي يكتسيها هذا الجانب في النّفوس، وهذا ما يمنح قدسية لحروفه، ما يجعلها خالدة صالحة لكلّ زمان، لذا سعى الكاتب إلى توظيف الموروث الدّيني إمّا بشكل لفظي مباشر، وإمّا أن يكتبه إحياء ليعبر عن معانيه.

سيطول بنا المقام إذا ذكرنا الأمثلة التي ورد فيها التّناص الدّيني لأنّه لا يكاد يخلو فصل من رواياته إلّا ونجده محمّلاً بالكثير من المعاني أو الألفاظ الدّينية، لذلك سنحاول ضرب أمثلة قليلة عن ذلك فقط.

من الأمثلة الواردة على التّناص الدّيني في الرّوايتين "العناوين"، فقد أخذها من آي

القرآن الكريم:

- "يا صاحبي السّجن" مقتبسة من قوله عزّوجلّ: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرْيَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>2</sup>.

- "يسمعون حسيها" مأخوذة من قوله عزّوجلّ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾<sup>3</sup>.

كما أنّه اقتبس جميع عناوين الفصول خاصة في رواية "يا صاحبي السّجن" من

القرآن الكريم، بينما بعضها فقط في رواية "يسمعون حسيها"، نذكر منها:

<sup>1</sup>- ينظر: نجوى الصّافي: في "يسمعون حسيها" اللغة فارسة الرّواية.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 39.

<sup>3</sup>- القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية: 102.

- "يأتيكما طعام ترزقانه" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>1</sup>.

- "هارون أخي" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي﴾<sup>2</sup>

- "اسمه أحمد" مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>3</sup>.

- "ثم إنكم بعد ذلك لميئون" مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾<sup>4</sup>.

- "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>5</sup>.

- "إني رسول الله إليكم" مأخوذة من الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>6</sup>.

- "من قبل أن نبرأها" مقتبسة من قوله عزوجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>- القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 37.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم : سورة طه، الآية: 29-30.

<sup>3</sup>- القرآن الكريم : سورة الصّف، الآية: 06.

<sup>4</sup>- القرآن الكريم : سورة المؤمنون، الآية: 14-15.

<sup>5</sup>- القرآن الكريم : سورة النحل، الآية: 18.

<sup>6</sup>- القرآن الكريم : سورة الأعراف، الآية: 158.

<sup>7</sup>- القرآن الكريم: سورة الحديد، الآية: 22.

- "يقص الحق" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ يَقْضُ الْحَقُّ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾<sup>1</sup>.
- "ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا ۚ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾<sup>2</sup>.
- "لكل نبا مستقرّ وسوف تعلمون" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>.

- "ادخلوا مساكنكم" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>4</sup>.
- "فهل إلى خروج من سبيل" مأخوذة عن قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفِئْتِنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَفِئْتِنَا فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾<sup>5</sup>.

ومن العبارات المأخوذة من القرآن الكريم ولكن الكاتب وظّفها توظيفا مباشرا في كلامه قوله:

- "سقطت هذه الكلمات على جوفي بردا و سلاما"<sup>6</sup>، استنادا على الآية الكريمة في "سورة الأنبياء": ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup>- القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية: 57.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم: سورة التور، الآية: 40.

<sup>3</sup>- القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية: 67.

<sup>4</sup>- القرآن الكريم: سورة النمل، الآية: 18.

<sup>5</sup>- القرآن الكريم: سورة غافر، الآية: 11.

<sup>6</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السجن، ص: 68.

<sup>7</sup>- القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية: 69.

- "كنا نحس أننا قصاصات من الورق، توزعت مزقا صغيرة صغيرة وتناثرت في الفضاء، في كل اتجاه ولن تجتمع من جديد إلا حين تمتد يد إليها فتلمّ شعثها وتعيدها سيرتها الأولى"<sup>1</sup> المأخوذة عن قوله تعالى: " قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۗ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ " <sup>2</sup>.

- "كان يحدّق في الأفق، وأيّ أفق تحمله البئر المسكينة؟.... في البئر وجد كثيرا من الكنوز المدفونة... رموه هناك وقالوا يلتقطه بعض السيّارة"<sup>3</sup> المأخوذة عن قصة سيّدنا سيّدنا يوسف في القرآن الكريم حيث يقول عزّوجلّ: قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ <sup>4</sup>.

لقد شبّه "العتوم" نفسه بالنبي يوسف "عليه السلام" حين ألقاه إخوته في البئر ولكن هذه المصيبة غيرت حاله، حيث أصبح ذا مرتبة رفيعة وتحققت نبوّته ولو بعد حين، كذلك كاتبنا ألقى به في السّجن، ولكن ذلك لم يمنعه من قول الشعر والنطق بالحق، إذ أنه يعتبر تجربته غنيّة وفيها من الكنوز ما يعلم الإنسان لباب الحياة ف" لم يدر بخلداهم يوما أن الفضاءات المطلقة تبدأ من الجحور الضيقة.... هناك تصنع الحياة، ويعاد ترتيب مكوناتها ... هناك يتهجأ الإنسان حروف ولادته من جديد"<sup>5</sup>.

- "أكملت صلاتي في سرّي.... وأويت إلى ربوة ذات قرار معين"<sup>6</sup> مأخوذة من قوله تعالى: تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ <sup>7</sup>.

- "كان يوما عبوسا قمطيرا"<sup>8</sup> مقتبسة من الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطِيرًا ﴾ <sup>9</sup>.

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 84.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم: سورة طه، الآية: 21.

<sup>3</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 06.

<sup>4</sup>- القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 10.

<sup>5</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 06.

<sup>6</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 40.

<sup>7</sup>- القرآن الكريم : سورة المؤمنون، الآية: 50.

<sup>8</sup>- أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 119.

<sup>9</sup>- القرآن الكريم : سورة الإنسان، الآية: 10.

- "ورحت أبحث عن جسد أخي الطّاهر من بينها فأعياني البصر وانقلب وهو حسير"<sup>1</sup>  
حسير"<sup>1</sup> مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾<sup>2</sup>.

- "رضيت بها يا اا رب... رضيت... فهب لي من لدنك ولياً"<sup>3</sup> مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي رَضِيْتُ خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾<sup>4</sup>.  
- "دخلنا على شكل سلسلة بشرية مطأطي الهامات، يرهق وجوهنا قتر وذلة"<sup>5</sup> مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>6</sup>.

لقد أثبت "العتوم" تشبّعه بالثقافة الدّينية وبراعته في توظيف القرآن الكريم لدرجة المزج بين عدّة اقتباسات في كلام واحد، من ذلك قوله: "وهكذا اكتمل عقدنا في هذه الغرفة من مهجع 6 لم نكون أحد عشر كوكبا، بل كنّا تسع آيات"<sup>7</sup>، هكذا وصف "العتوم" نفسه نفسه رفقة أصحابه بالاستناد على الآيتين الكريمتين: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>8</sup> والآية الثانية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۗ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾<sup>9</sup>.

<sup>1</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 360.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم : سورة الملك، الآية: 04.

<sup>3</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 51.

<sup>4</sup>- القرآن الكريم: سورة مريم، الآية: 05.

<sup>5</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 93.

<sup>6</sup>- القرآن الكريم : سورة يونس، الآية: 26.

<sup>7</sup>- المصدر نفسه، ص: 206.

<sup>8</sup>- القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية: 04.

<sup>9</sup>- القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية: 101.

وقوله كذلك حينما بدأت حفلة التعذيب المعتادة في ساحات السّجون: "بدأنا نركض، بم يمكن وصفنا يومها؟؟ حمر مستنفرة أم إبل هيم أم مهطعين إلى الدّاع، برز عشرون وحشا من الزّوايا، ركضوا خلفنا كمفترسين، وركضنا أمامهم كطرائد مذعورة"<sup>1</sup>.

لقد استطاع "العتوم" من خلال هذا التعبير تجسيد وحشية الجلادين وقسوتهم ممّا جعل السّجناء يفرّون هاربين بسرعة فائقة ليتحاشوا لسع الشّياطين، مع مشقّة الصّيام وعناء العطش وأيّ تعبير أحسن من تعبير الله عزّوجلّ الذي أنزل القرآن فأبدع فيه، فأخذ عنه الكاتب من خلال الاستناد على آيات عديدة هي:

- "حمر مستنفرة" مأخوذة من قوله عزّوجلّ: ﴿كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾<sup>2</sup>

قسورة<sup>2</sup>

- "إبل هيم" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾<sup>3</sup>.

- "مهطعين إلى الدّاع" مأخوذة من الآية الكريمة: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ ۖ يَقُولُ

الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾<sup>4</sup>.

ومن أمثلة اعتماده على السّنة النّبويّة الشّريفة والأخذ منها قوله: "كلّ هؤلاء الملقون كجثث في أرضيّة هذا المهجع كانوا قد وفدوا إلى فرع الأمن الداخلي (فرع الخطيب) بعدي وكان الصّبر عند الصّدمة الأولى يشكّل لهم معضلة..."<sup>5</sup> المأخوذ من الحديث الشّريف: "الصّبر عند الصّدمة الأولى"<sup>6</sup>.

لم يقتصر التّناس عند "العتوم" على الجانب الدّيني فقط، بل وظّف أنواعا أخرى تبرز ثقافته الواسعة وإطلاعه الكبير ومن ذلك: التّناس الأدبي و التّناس الشّعبي.

<sup>1</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 184.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم: سورة المدنّر، الآية: 51.

<sup>3</sup>- القرآن الكريم : سورة الواقعة، الآية: 55.

<sup>4</sup>- القرآن الكريم : سورة القمر، الآية: 08.

<sup>5</sup>- أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، ص: 57.

<sup>6</sup>- أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري: باب الجنائز، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط1، 2003، ص:

ومن أمثلة النَّوع الأول قوله في حوار له مع الضَّابط:

- "هل تعترف بأنّ هذا الشَّعر الذي أمامي لك؟"

- ما تبت عن شعري ولا استغفرته ما أسخف الشَّعراء لو هم تابوا (مع الاعتذار

لنزار قبّاني).

- ما علاقة نزار قبّاني بالأمر؟.

- ليس له علاقة، أنا حوّرت كلمة (عشقي) في بيته إلى شعري، وكلمة (العشّاق) إلى

الشَّعراء.... ولكن لا فرق، فالشَّعراء هم أكبر العشّاق<sup>1</sup>.

وكذلك توظيفه لبيت الشّاعر "أحمد شوقي" المأخوذ من سينيته الشهيرة:

"- موسيقى الشَّعر تزعجهم يا أبي.

- ابق بها صادحا....

- (أحرام على بلبله الدّوح؟؟)

- حلال للطّير من كلّ جيس)<sup>2</sup>.

كما نجد التناص الأدبي في توظيفه للأمثال العربية إذ يقول:

- "صمت دهرًا ونطق كفرا"<sup>3</sup>: ويضرب هذا المثل في الشّخص الذي سكت طويلا

وحينما ينطق يقول عجا فتمنّى أنّه لو لم ينطق منذ البداية.

- "من مأمّنه يوّتى الحذر"<sup>4</sup>: هذا المثل يروى عن أكثر بن صيفي التّميمي، أي أنّ

أنّ الحذر لا يدفع عنه مالا بدّ منه<sup>5</sup>.

وهكذا فقد شربت لغة الرّواية من ألفاظ القرآن و السنّة النبوية حتى ارتوت و تشبعت،

وكأنّ "أيمن العتوم" يخاف على قارئه "المس" من شياطين روايته و عفاريتها، فيهدّي

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 56.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص: 88.

<sup>3</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 330.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص: 87.

<sup>5</sup>- أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، دار المعرفة، بيروت، ص: 310.

- من روعه و يرقيه بكلمات القرآن و آياته و أسلوبه و فكره<sup>1</sup>.
- أمّا عن الموروث الشعبي فقد أخذ منه: الأمثال الشعبيّة واللّفظة العاميّة هذه الأخيرة التي وظّفها أكثر في الحوار داخل السّجن أو خارجه، ومن أمثلة الأولى قوله:
- "يأتيك ساخنا كما لو كان لم يمض على إعداده غير بضع دقائق أي (من الطنّجرة للحجرة)"<sup>2</sup>.
- "الشّعْر الذي يأتيك بالمصائب، لماذا تكتبه؟ (الباب لي يجيك منو ريح سدّه واستريح)"<sup>3</sup>.
- "غير أنّ (اللّقمة الهنية بتكفي مية)"<sup>4</sup>.
- "بيد أنّ الإدارة كان لها مع تلك الصّيحات (أذن من طين وأذن من عجين)"<sup>5</sup>.
- "امش الحيط الحيط وقول يا ربّ السّتيرة"<sup>6</sup>.
- "حط راسك بين الرّوس وقول يا قطّاع الرّوس"<sup>7</sup>.
- "ألا يا أم نادر بيت من الصّبر عمري قدر مكتوب على أم زيد وأم عمري"<sup>8</sup>
- وهذا البيت من الموروث الشعبي حيث كان يغنى في الأعراس بغرض التّصبير.
- أمّا اللّفظة العامية فقد استخدمها في الحوارات داخل السّجن نذكر منها على سبيل المثال حوار السّجان معه:

"- وين أيمن العتوم؟"

<sup>1</sup>- نجوى الصّافي: في "يسمعون حسيستها" اللغة فارسة الزّواية.

<sup>2</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 43.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص: 45.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص: 94.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص: 150.

<sup>6</sup>- المصدر نفسه، ص: 127.

<sup>7</sup>- المصدر نفسه، ص: 128.

<sup>8</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 296.

- هيني هون.
- نائب المدير بدياك..
- ليش؟؟
- هات أغراضك ولحقتي.... وبعدين بتعرف ليش...
- تلقاني نائب المدير قائلاً:
- شو ألي عملتو؟
- شو؟ عملت شي؟
- شو عاملي محاضرات في السّجن امفكرلي حالك أستاذ جامعي...<sup>1</sup>.
- وحوار العسكري مع "إياد" حينما رآه متأهباً للصّلاة:
- "ولا... شو عم تساوي ولا...."
- عم صلي
- إصحا تصلي ولا
- ليش بنا
- الصّلا ممنوعة.... إخوان مسلمين إنتا ولا؟؟
- الصّلا ممنوعة؟؟ طيب رئيس الجمهورية تبعك بصلي
- ولا: رئيس الجمهورية تبغي بصلي مشان يضحك ع الشعب<sup>2</sup>.
- وما دار بين السّجناء فيما بينهم:
- " أنا إياد... مين إنتا؟؟"
- إياد...؟؟ إياد مين...؟؟
- إياد أسعد... الدكتور... مين إنتا؟؟
- الدكتور إياد أسعد مستحيل؟؟

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يا صاحبي السّجن، ص: 158.

<sup>2</sup>- أيمن العتوم : يسمعون حسيستها، ص: 39-40.

- شو المستحيل...؟؟

- حكو إنّ أدموك...

- لأ ما أعدموني... أكيد في هدف من ورا هاالإخبارية... بس إنتا مين؟؟

- أنا سامي... سامي قرداح..<sup>1</sup>.

وهكذا فقد حاول "العتوم" تحري الصدق في عباراته محاولا ملامسة روح القارئ ومخاطبة

عقله عن طريق الإبداع في الأساليب والصّور والتّوزيع في مستوى الخطاب وأشكاله.

---

<sup>1</sup>- أيمن العتوم: يسمعون حسيها، ص: 71.

- تتحدّد قيمة أيّة دراسة بما تحقّقه من نتائج و إضافات جديدة مفيدة، وفقا لآليات البحث التي يوظّفها الباحث، وبعد الدّراسة والتّحليل خلصنا إلى مجموعة نتائج تتمثّل في:
- أدب السّجون تجربة إبداعية وإنسانية حيّة صادقة، لها تميّزها وخصوصيّتها ومكانتها في الأدب العربي.
  - أدب السّجون وليد العصور القديمة ولكنّه نال حيّزا كبيرا في العصر الحديث والمعاصر بسبب المسحة التّجديدية فيه لأنّه يعكس الظروف الرّاهنة.
  - تعدّدت عوامل ظهور هذا الفن أبرزها: العامل النّفسي والتّاريخ.
  - مسّ هذا النّوع جميع أصناف الأدب، غير أنّ أبرزها هو الشّعْر والرّواية.
  - يعكس أدب السّجون بكلّ صدق وعفوية ألم القهر وصدق المعاناة وآثار التّعذيب وصنوف الإذلال، وجرعات المرارة التي يعدّب بها السّجين.
  - استطاع هذا الفن النّبيل فضح أنظمة الحكم والسّلطة و تبيان كيفية فرضها لآرائها عنوة، كما كشف عن الأساليب الهمجية التي ينتهجها السّجان قصد حيونة السّجين.
  - يحمل هذا الأدب في جعبته مجموعة من الحكايا والأسرار والمواضيع تدور في مجملها حول: الحرّيّة، المأساة، حبّ الوطن والدّفاع عنه، بروز العواطف الدّاتية، الظلم ورفع راية التّحدي...
  - تتميّر اللّغة في هذا النّوع بالعنف والمأساة من جهة وبين الرّقة والعاطفة من جهة أخرى..
  - استطاع هذا الفنّ أن يرسم حدودا له عن طريق الكثير من الخصائص المعنوية والأسلوبية الفنّية التي اشترك فيها المبدعون.
  - أثبتت نهاية الرّوايتين قيد الدّراسة أنّ الظلم زائل لا محالة وأنّ الشّمس ستطلع من جديد.
  - يكتب "أيمن العتوم" بلغة شاعرية، تفيض معانيها حتى تلامس شغاف القلب وأغوار النّفس الإنسانيّة.

- أسلوب " العنّوم " قصصي ممتع، يعتمد الصّورة الشعريّة والتناص بأنواعه، خاصّة الديني منه.
- تبرز كتاباته ثقافته الواسعة وفكره الخصب في تحليل الأمور .
- تعتبر رواية "يا صاحبي السّجن" سيرة ذاتية للكاتب "أيمن العنّوم"، غير أنّها لم تحمل الكثير من المأساة والقهر مقارنة برواية "يسمعون حسيّسها" التي نقل فيها شهادة حيّة لطبيب سوريّ عذب في أسوأ السّجون سمعة بـ"سوريا".
- غلبت اللّغة الدّينيّة والموروث الشّعبي على رواية "يا صاحبي السّجن" مقارنة بالرواية الثّانية قيد الدّراسة.
- اعتبر "العنّوم" السّجن تجربة إنسانية تعلّم منها الكثير وقرأ فيها كتباً جمّة ليوسّع آفاق علمه وثقافته، بينما اعتبر "إياد أسعد" بطل رواية "يسمعون حسيّسها" أنّه عاد من الجحيم وأنجاه الله من رؤوس الشّياطين التي قضت على جسده وذاته حتّى فقد أناه.

الملاحق

### الملحق 01:

#### التعريف بالروائي "أيمن العتوم":

هو الشاعر والروائي أيمن علي حسين العتوم، ولد في 2 آذار من عام 1972م في مدينة "سوف" بمحافظة "جرش" في المملكة الأردنية الهاشمية، أكمل دراسته الثانوية في إمارة "عجمان" بدولة الإمارات العربية المتحدة، وبعدها أكمل تعليمه الجامعي في "الأردن" في جامعة العلوم والتكنولوجيا وحصل على شهادة البكالوريوس منها في الهندسة المدنية عام 1997م، حبّ اللغة العربية الذي نشأ عليه "أيمن العتوم" وترعرعه في كنف والدٍ محبّ للغة وأهلها ومعلّمًا لها في جامعة أردنية، دفعه لدراسة بكالوريوس لغة عربية في جامعة "اليرموك" وحصوله على الشهادة الجامعية الثانية عام 1999م، واستمرّ حبه وشغفه في مجال اللغة حتى أنّه نال درجة الماجستير في النحو العربي من الجامعة الأردنية عام 2004م، وتابع مسيرته العلمية وحصل على درجة الدكتوراه في نفس التخصص من الجامعة الأردنية كذلك عام 2007م. منذ صغره كان يُلقي الشعر كثيرًا، وذات مرّة عام 1996م ألقى قصيدة من قصائده هجا فيها النظام، وعلى إثرها سُجن قرابة العام كمتعقل سياسي. وأثناء فترة دراسته في الثلاث جامعات كان ناشطًا أدبيًا، وقام بتأسيس العديد من اللجان والأندية التي تُعنى بالكتب، وكان نشيطًا معتادًا على ارتياد الأمسيات الشعرية والمشاركة فيها على الصعيد المحلي والعربي الشقيق كدولة قطر والإمارات والعراق ومصر والسودان. عمِلَ "أيمن العتوم" مهندسًا تنفيذيًا بشهادته في الهندسة المدنية في مواقع إنشائية مختلفة في عامي 1997م و 1998م، وعمِلَ كذلك مدرّسًا للغة العربية في العديد من المدارس الأردنية، كمدارس الرضوان ومدرسة اليوبيل وأكاديمية عمّان الدولية<sup>1</sup>.

#### أعماله:

#### 1- الدواوين الشعرية:

- ديوان نبوءات الجائعين: صدر سنة 2012.
- ديوان قلبي عليك يا حبيبتي: صدر سنة 2013.
- ديوان خذني إلى المسجد الأقصى: صدر سنة 2013.
- ديوان الزنابق: صدر سنة 2015.

<sup>1</sup> - <http://www.sotor.com> // 2021/06/10

- ديوان طيور القدس: صدر سنة 2016.
- 2- الروايات: نذكر منها:
  - يا وجه ميسون: صدرت سنة 1999.
  - يا صاحبي السجن: صدرت سنة 2012.
  - يسمعون حسيها: صدرت سنة 2012.
  - ذائقة الموت: صدرت سنة 2013.
  - حديث الجنود: صدرت سنة 2014.
  - نفر من الجن: صدرت سنة 2014.
  - كلمة الله: صدرت سنة 2016.
  - اسمه أحمد: صدرت سنة: 2017.



## الملحق 02:

### ملخص رواية "يسمعون حسيها":

تتحدث هذه الرواية عن قصة دكتور سوري اسمه "إياد أسعد" تمّ الرّجّ به في السجون السورية في ثمانينيات القرن الماضي ظلما بتهمة لم يعرفها إلاّ لحظة خروجه من السّجن بعد سبعة عشر عاما من العذاب والقهر والمأساة بداية بـ "فرع الخطيب" وصولا إلى "سجن تدمر الصحراوي"، هذا الأخير الذي يعدّ من أكبر السّجون في العالم و من أكثرها دموية فهو لا يعترف بشيء اسمه إنسان أو آدمية. نقل لنا الكاتب كيف كان يتفكّن السّجان في طرق التعذيب، وكيف مات الآلاف من المعتقلين نتيجة ما كانوا يتعرضون له من تعذيب وحشي و أمراض فتاكة، ولكنه ظلّ صامدا إلى أن سطعت خيوط الحرّية في وجهه وعاد إلى أهله منتقلا بذكريات أليمة وبآثار خطّتها أساليب التعذيب على جسده المرهق.



## الملحق 03:

### ملخص رواية "يا صاحبي السّجن":

تدور أحداث الرّواية حول الكاتب نفسه "أيمن العتوم" الذي قضى مدّة ثمانية شهور في غياهب سجون: فرع المخابرات، سجن الجويذة وسجن سواقة الصحراوي بالأردن، بتهمة إطالة اللسان على الملك بسبب قصيدة قالها في أمسية شعرية سنة 1996م. تحكي الرّواية معاناة السّجناء نتيجة حرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية، وكذا شراسة السّجان وانعدام ضميره، وطرق تحدّي المعتقلين جرّاء معانوه، والغوص في تحليل شخصياتهم وطرق تفكيرهم، بالإضافة إلى عرض حكمه في الحياة وطريقة تكيفه مع واقع السّجن عن طريق كتابته لأشعاره وتهريبها خارج السّجن.



# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- قائمة المعاجم اللغوية والموسوعات:
  - 1- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 1 مادة (ح.ب.س)، (دط)، (دت).
  - 2- أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج 1، ط 1، 1979.
  - 3- عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1983.
  - 4- علي بن اسماعيل بن سيده: المحكم و المحيط الأعظم، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج 7، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط 1، 1958.
  - 5- مجد الدين الفيروزآبادي: معجم القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008.
- قائمة المصادر:

- 1- أيمن العتوم:
- يا صاحبي السجن، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 17، 2015.
- يسمعون حسيبها، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 20، 2015.
- قائمة المراجع:

- 1- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري: باب الجنائز، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط 1، 2003.
- 2- أبو فراس الحمداني: الديوان، جم: سامي الدهان، مكتبة الدكتور مروان العطية، ج 2، بيروت، (د،ط)، 1944.
- 3- أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 2، دار المعرفة، بيروت، (د،ط)، (د،س).
- 4- أحمد الزّعيبي: التناص نظريا و تطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2000.

- 5- أحمد مختار البزرة : الأسر والسجن في شعر العرب -تاريخ ودراسة-، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط1، 1985.
- 6- أحمد المرزوقي: تزممارت الزنزانة رقم 10، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2012.
- 7- أيمن العتوم: ديوان نبوءات الجائعين قصائد كتبت في السجن، دار المعرفة، القاهرة، ط2.
- 8- حسن سليم نعيصة: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1986.
- 10- زكريا بوغرارة : الأكف الممزقة، تق: الشيخ ياسر السري، مؤسسة وإسلاماه للإعلام، ط1 الإلكترونية.
- 11- سالم المعوش: شعر السجن في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003.
- 12- سمر روجي الفيصل: البناء والرؤيا (مقاربات نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- 13- شعبان يوسف: أدب السجن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د،ط)، 2014.
- 14- شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط5، (د،س).
- 15- عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، (د،ط).
- 16- علي جابر المنصوري : النقد الأدبي الحديث، عمان، دار عمّار، ط1، 2000.
- 17- فاطمة العراقي/علي العراقي: مذكرات سجيئة صفحات حمراء من تاريخ منسي، ج1، دار الفقه، بغداد، (د،ط)، (د،س).
- 18- كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، (د،ط)، (د،س).
- 19- محمد عادل فارس: لأنهم قالوا لا، ناشرون بلا حدود، ط1، 2007.

20- محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، (د،ط)، 1977.

21- مصطفى أمين: سنة أولى سجن، دار أخبار اليوم، (د،ط)، 1991.

22- مفدي زكريا: اللهب المقدّس، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2007.

23- نسيمة بوصلح: تجلي الرمز في الشعر العربي الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، د،ط، 2000.

24- واضح الصمد: السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995.

25- الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1990.

• المراجع المترجمة:

1- تيري كوبرز: الجنون في غياهب السجون، تر: أميرة علي عبد الصادق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015.

2- أرسطو: فن الشعر، تر: ابراهيم حمادة، دار هلا للنشر، القاهرة، (د،ط)، 2014.

• المذكرات والرسائل والأطروحات:

1- أيمن سليمان خالد التميمي: السجون في العصر العباسي: 132هـ-334هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، المشرف: محمد عبد القادر حريسات، كلية الدراسات العليا: جامعة الأردن، 1997.

2- شيرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، رسالة ماجستير، إشراف: د بنان صلاح الدين، جامعة القدس، 2018.

3- وردة العابد: السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية: 138هـ-479هـ، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المشرف: ابراهيم بحاز، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 2018/2017.

• قائمة المجلات:

1- أحمد قيطون: الرّمز والتّجديد المستحيل، مجلّة مقاليد، العدد 01، جوان، 2011.

2-إيمان مصاروة : أدب السّجون في فلسطين دراسة توثيقية، شبكة محررون، إصدار الكتروني، رقم 136، 2020.

3-رحاب منى شاكر: السّجان في أدب السّجون(1980-2008)، منشورات مجلّة الجمهورية الرّقمية، برلين، 2020.

4-لخضر منير: أدب السّجون ومقاومة الاستبداد السياسي بالمغرب (أوراق كتبت في وعن السّجن)، مجلّة الحوار المتمدن الالكترونية، العدد 1903، 2007/05/02.

#### مواقع الانترنت:

1- رأفت حمدونة: أدب السجون: التعريف والمميزات.

2021/02/12 <https://pulpit.Alwatanvoice.com//24-01-2016.htm>

3-فاطمة مسلماني: أدب السّجون، موقع فيلادلفيا المعرفة، 28ديسمبر 2018، 2021/02/12.

4-نجوى الصّافي: في "يسمعون حسيّسها" اللغة فارسة الرّواية،

– http://www.odabasham.net، 2013/10/23، 2021/06/08.

5-مريم مركوم: رمزية الحيوان من خلال بعض الحكايات والأمثال المتداولة بمدينة أبركان، مكتبة نور.

6-مقال بعنوان: لماذا أصبح حيوان الضّبغ رمز الحقاارة والدّنو.

//https://www .limaza.com// 29/05/2021

7-مقال بعنوان: معلومات عن الفهد. //https://www mawdoo3.com//

29/05/2021

8- مقال بعنوان: أيمن العنوم في سطور.

//https:// www .sotor .com /

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
05	مدخل: مفهوم السّجن وجذوره في التّاريخ العربيّ
05	1- تعريف السّجن
05	1-1- السّجن لغة
06	1-2- السّجن اصطلاحاً
08	2- السّجون في التّاريخ العربيّ
08	2-1- العصر الجاهليّ
10	2-2- عصر صدر الإسلام
11	2-3- العصر الأمويّ
12	2-4- العصر العبّاسيّ
14	2-5- العصر الأندلسيّ
17	الفصل الأول: أدب السّجون: مفاهيم نظرية
18	1- مفهوم أدب السّجون
21	2- عوامل وأسباب ظهور أدب السّجون
21	2-1- العامل النفسيّ
22	2-2- التّجربة
22	2-3- التّاريخ
22	2-4- المعارضة والرّفص
23	3- أجناس أدب السّجون
23	3-1- الرّسالة
24	3-2- المسرحية
24	3-3- الرّواية والقصة
25	3-4- الشّعر
29	4- قضايا ومواضيع أدب السّجون
29	4-1- واقع السّجن والسّجين
31	4-2- الظلم والقهر
31	4-3- التّحدّي والصّمود
33	4-4- حبّ الوطن والتّغنيّ بالحرية

## فهرس الموضوعات

35	4-5- الشّعور بالوحدة والاشتياق للأهل
36	5- خصائص ومميزات أدب السّجون
36	5-1- الخصائص المعنوية (المضمون)
36	5-1-1- الصدق والإخلاص في التعبير
37	5-1-2- النزعة الإنسانية
38	5-1-3- صورة الموت والتّوق إلى الحرّية
38	5-1-4- المأساة والمعاناة
40	5-2- الخصائص الفنيّة والأسلوبية
40	5-2-1- الوصف والتّصوير الفنّي
41	5-2-2- العمق وتوظيف الرّمز
42	5-2-3- الإيقاع
43	5-2-4- التّناس
45	الفصل الثّاني: الخصائص المعنوية في روايتي "يسمعون حسيّسها" "يا صاحبي السّجن"
46	1- الصدق والإخلاص في التعبير
50	2- النزعة الإنسانية
54	3- صورة الموت والتّوق إلى الحرّية
65	4- المأساة والمعاناة
77	الفصل الثّالث: الخصائص الفنيّة والأسلوبية في روايتي "يسمعون حسيّسها" "يا صاحبي السّجن"
77	1- الوصف والتّصوير الفنّي
83	2- العمق وتوظيف الرّمز
87	3- الإيقاع
91	4- التّناس
101	الخاتمة
103	الملاحق
109	قائمة المصادر والمراجع
114	فهرس المحتويات
	الملخص

تناولت هذه الدراسة نوعاً أدبياً قديماً لكنّه اكتسب تداولاً حديثاً بسبب سبب سياسي معاصر هو: أدب السجون، حيث تطرّقنا إلى تعريفه وتلخيص عوامل ظهوره وتحديد أهم مواضيعه و استخلاص أهم خصائصه المعنوية والفنية في فصل نظري، أمّا عن الفصول التطبيقية فقد عالجت فيها هذه الخصائص عند الروائي والشاعر الأردني المعاصر "أيمن العنوم" من خلال روايته "يسمعون حسيبها" و "يا صاحبي السجن" التي نقل في إحداها تجربته الشخصية في السجن.

**الكلمات المفتاحية:** أدب السجون، خصائصه المعنوية والفنية، أيمن العنوم، يسمعون حسيبها، يا صاحبي السجن.

## Le résumé:

Cette étude a traité un ancien genre littéraire mais qui s'est renouvelé en le mettant dans un cadre politique moderne: qui est la littérature pénitentiaire; où on a défini cette dernière en résumant les raisons qui ont permis son émergence avec la sélection de ses sujets et la conclusion de ses caractéristiques sémantiques et artistiques dans un chapitre théorique. Toutefois, dans les chapitres pratiques, on a traité ces caractéristiques chez le moderne romancier jordanien "Aymen Alaàtoun" à travers ses deux romans: « Yasmaoona Hassissaha » « Ya sahibay Assijn » où dans l'une de ses deux il a transmis son expérience personnelle dans la prison"

**Les mots clés :** la littérature pénitentiaire, ses caractéristiques sémantiques et artistiques, Aymen Alaatoun, Yasmaoona Hassissaha, Ya Sahibay Assijn